

أعلام المسلمات

لجنة الإعداد

عبد العزيز سيد هاشم
يسري سعد شعيب
منصور علي عرابي

اللجنة التحريرية الدائمة

د. عاطف عبد الرشيد
مصطفى أحمد علي
د. أحمد محمود الخولي
د. محمد محمود القاضي
د. ياسر علي نور

اللجنة الاستشارية

أ.د. عبد الله المصلح
أ.د. حسن الشافعي
أ.د. أسامة جستنيت
أ. أحمد نجيب
أ. عبد التواب يوسف

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد الشؤون الفنية

هاشم، عبد العزيز سيد.
أعلام المسلمات / إعداد عبد العزيز سيد هاشم، يسرى سعد شعيب،
منصور عرابي، تحرير عاطف عبد الرشيد... [وآخ]. - ط ١. الجيزة.
شركة أطفالنا الدولية، ٢٠١٤.

٢١٦ ص، ١٧ سم. (موسوعة الأسرة المسلمة)

تدمك ١ ٥٧٣ ٢٩٦ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الإسلام - تراجم ٢- المرأة في الإسلام

(أ) شعيب، يسرى سعد (مؤلف مشارك)

(ب) عرابي، منصور. (معد مشارك)

(ج) عبد الرشيد، عاطف (محرر)

٩٢٢،١

(د) العنوان

رقم الإيداع: ٢٠١٤/١٩٤٠١

حقوق الطبع محفوظة



ت: 00202 370 80 125 / 01226603319 / 01116039693

Mail : ashraf74sharf@hotmail.com

مقدمة

موسوعة الأسرة المسلمة



اليوم - ونحن في القرن الخامس عشر الهجري وفي عصر أهم ما يميزه التقدم العلمي والثقافي نجد أننا في حاجة إلى الوقوف على أرض صلبة لتكون انطلاقتنا قوية، نحو الأهداف المنشودة لبناء الشخصية المسلمة القادرة على التعامل مع متطلبات العصر والتي تتميز بالعقيدة السليمة والأخلاق القويمة والعقل المتفتح.

ومن أجل ذلك قمنا بإعداد موسوعة الأسرة المسلمة التي تقوم على أسس علمية لتعرف الأجيال الصاعدة بدينهم وأركان عقيدتهم وتاريخ أمتهم، وسير أجدادهم الذين تعلم منهم العالم بأسره مبادئ الحضارة.

وقد روعي في إعداد هذه الموسوعة أن تكون عصرية شاملة سهلة التناول سريعة الفهم يمكن الرجوع إليها بسهولة ويسر.

ولقد قام بإعداد هذه الموسوعة مجموعة من خيرة الباحثين وأشرف عليها نخبة من أساتذة الجامعات ورجال الفكر والمتخصصين في الأدب والتربية.

وتتضمن هذه الموسوعة ستة عشر كتاباً في الأخلاق والعقيدة والعبادات والمعاملات والآداب والسير والتاريخ والحضارة والأنبياء والصحابة وأعلام المسلمين والقضايا الإسلامية..

ونسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع
به الأجيال القادمة وأن يسهم بقدر وافر في بناء الأسرة المسلمة وإنارة طريقها
إلى رضا الله والجنة.



الأم حواء



كان الأب الأول للخلق جميعاً يعيش وحده بين أشجار الجنة وظلالها، فأراد الله أن يؤنس وحشته، وألا يتركه وحيداً، فخلق له من نفسه امرأة، تقر بها عينه، ويفرح بها قلبه، وتسكن إليها نفسه، وتصبح له زوجة يأنس بها، فكانت حواء، هدية الله إلى أبي البشر آدم -عليه السلام- وأسكنهما الله الجنة، وأباحها لهما يتمتعان بكل ما فيها من ثمار، إلا شجرة واحدة أمرهما أن لا يأكلا منها: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وعاشت حواء مع آدم بين أشجار الجنة يأكلان مما فيها من فواكه كثيرة وخيرات متعددة، وظلا على عهدهما مع الله، لم يقربا الشجرة التي حرمها عليهما.

لكن إبليس اللعين لم يهدأ له بال، وكيف يهدأ بالله وهو الذي توعد آدم وبنيه بالغواية والفتنة؟! وكيف تستريح نفسه وهو يرى آدم وحواء يتمتعان في الجنة؟! فتربص بهما، وفكر في طريقة تخرجهما من ذلك النعيم، فأخذ يدبر لهما حيلة؛ ليعصيا الله، ويأكلا من الشجرة؛ فيحلّ عليهما العقاب.

ووجد إبليس الفرصة! فقد هداه تفكيره الخبيث لأن يزين لآدم وحواء الأكل من الشجرة التي حرمها الله عليهما، لقد اهتدى لموطن الضعف عند

الإنسان، وهو رغبته في البقاء والخلود: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢١].

وهكذا زين لهما الشيطان الأكل من الشجرة، وأقسم لهما أنه لهما ناصح أمين، وما إن أكلا من الشجرة حتى بدت لهما عوراتهما، فأسرعا إلى أشجار الجنة يأخذان منها بعض الأوراق ويستتران بها. ثم جاء عتاب الله لهما، وتذكيرهما بالعهد الذي قطعاه معه - سبحانه وتعالى -: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وعرف آدم وحواء أن الشيطان خدعهما وكذب عليهما... فندما على ما كان منهما في حق الله سبحانه، ولكن ماذا يصنعان؟ وكيف يصلحان ما أفسد الشيطان؟! وهنا تنزلت كلمات الله على آدم، ليتوب عليه وعلى زوجه ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. وكانت تلك الكلمات هي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وبعد ذلك.. أهبطهما ربهما إلى الأرض، وأهبط معهما الشيطان وأعوانه، ومخلوقات أخرى كثيرة قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

وهكذا بدأت الحياة على الأرض، وبدأت معركة الإنسان مع الشيطان، وقدر الله لآدم وحواء أن يعمرا الأرض، وتنتشر ذريتهما في أرجاء المعمورة.



ثم نزلت لهم الرسالات السماوية التي تدعو إلى التقوى. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وظلت حواء طائعة لله - تعالى - حتى جاء أجلها.

أم الذبيح هاجر



هناك.. في صحراء مكة القاحلة.. حيث لا زرع ولا ماء.. ولا أنيس ولا رفيق.. تركها زوجها هي ووليدها.. ثم مضى في طريق عودته، وترك لهم تمرًا وماءً.

فنادته زوجته وهي تقول: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي، الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟! فلم يلتفت إليها الزوج، وكأنه على يقين من وعد الله الذي لا يتخلف ولا يخيب.

فقالت الزوجة -وكانها أدركت أن أمرًا ما يمنع زوجها من الرد عليها-:
الله أمرك بهذا؟

فرد الزوج: نعم.

فتقول الزوجة التي آمنت بربها، وعرفت معنى اليقين بصدق وعد الله، وفهمت كيف تكون معينة لزوجها على طاعة ربها، تقول في غير تردد ولا قلق:
إذن لا يضيعنا. وانصرف إبراهيم -عليه السلام- وهو يدعو ربه ويقول:
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ • رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٧-٣٨].

ونفد الماء والزاد، والأم لا تجد ما تروى به ظمأ طفلها، وقد جفّ لبنها فلا تجد ما ترضعه. فيتلوى الطفل جوعاً وعطشاً، ويصرخ، ويتردد في الصحراء والجبال صراخه الذي يدمى قلب الأم الحنون.

وتسرع الأم وتصعد على جبل الصفا، لتنظر أحداً ينقذها هي وطفلها من الهلاك، أو تجد بعض الطعام أو الشراب. ولكنها لا تجد فتتزل مسرعة وتصعد جبل المروة، وتفعل ذلك سبع مرات حتى تمكن منها التعب، وأوشك اليأس أن يسيطر عليها، فيبعث الله جبريل -عليه السلام- فيضرب الأرض بجناحه؛ لِيُخْرِجَ عَيْنُ مَاءٍ بِجَانِبِ الصَّغِيرِ، فتهرول الأم نحوها وقلبها ينطلق بحمد الله على نعمته، وجعلت تغرف من مائها، وتحاول جاهدة إنقاذ فلذة كبدها، وتقول لعين الماء: زُمِّي زُمِّي، فسميت هذه العين زمزم.

يقول النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً» [البخاري].

إنها هاجر، أم إسماعيل، وزوجة إبراهيم خليل الله - رضي الله عنها - . عُرِفَتْ في التاريخ بأُمَّ الْعَرَبِ الْعَدْنَانِيْنَ.

وَهَبَهَا مَلِكُ مِصْرَ إِلَى السَّيِّدَةِ سَارَةَ -زَوْجِ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلِيْ-، عندما هاجر إلى مصر. ولما أدركت سارة أنها كبرت في السن، ولم تنجب، وهبت هاجر لزوجها ليتزوجها، عسى الله أن يرزقه منها الولد.

وتزوج إبراهيم -عليه السلام- السيدة هاجر، وبدأت عليها علامات الحمل، ثم وضعت إسماعيل -عليه السلام- ووجدت الغيرة طريقها إلى قلب السيدة سارة، فكأنها أحست أنها فقدت المكانة التي كانت لها في قلب زوجها

من قبل، فطلبت منه أن يأخذ السيدة هاجر بعيداً عنها، فأخذها سيدنا إبراهيم -عليه السلام- إلى صحراء مكة، بأمرٍ من الله، ولحكمة يريد بها عز وجل، وحدث ما حدث لها ولوليدها.

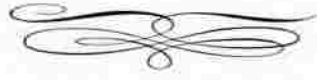
ومرت الأيام بطيئة ثقيلة، حتى نزل على هاجر وابنها إسماعيل بعض أناس من قبيلة "جُرْهُم" وأرادوا البقاء في هذا المكان؛ لما رأوا عندها الماء، فسمحت لهم بالسكن بجانبها، ومشاركتها في الشرب من ماء زمزم، واستأنست بهم، وشب الطفل الرضيع بينهم، وتعلم اللغة العربية منهم، ولما كبر تزوج امرأة منهم.

هذه هي هاجر أم الذبيح وأم العرب العدنانيين، رحلت عنا بعدما تركت لنا مثالا رائعا للزوجة الطيعة، والأم الحانية، والمؤمنة القوية؛ فقد أخلصت النية لله تعالى، فرعاها في وحشتها، وأمنها في غيبة زوجها، ورزقها وطفلها من حيث لا تحسب.

وقد جعل الله - سبحانه - ما فعلته السيدة هاجر - رضي الله عنها - من الصعود والسعي بين الصفا والمروة من أعمال الحج. قيل إنها توفيت وعندها من العمر ٩٠ سنة، ودفنها إسماعيل -عليه السلام- بجانب بيت الله الحرام.



المهاجرة سارة



خرجت مهاجرة في سبيل الله مع زوجها وابن أخيه لوط -عليهما السلام- إلى فلسطين.

ولما اشتد الجفاف في فلسطين هاجرت مع زوجها مرة أخرى إلى مصر. وسرعان ما انتشر خبرهما عند فرعون مصر الذي كان يأمر حراسه بأن يخبروه بأي امرأة جميلة تدخل مصر.

وذات يوم، أخبره الجنود أن امرأة جميلة حضرت إلى مصر، فلما علم إبراهيم بالأمر قال لها: «إنه لو علم أنك زوجتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه بأنك أختي، وأنت أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في هذه الأرض مسلماً غيرك وغيري».

وطلب فرعون من جنوده أن يحضروا هذه المرأة، ولما وصلت إلى قصر فرعون دعت الله ألا يأخذها، وأن يحيطها بعنايته، وأن يحفظها من شره، وأقبلت تتوضأ وتصلي وتقول: «اللهم إن كنت تعلم أنني آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجى إلا على زوجي، فلا تسلط على هذا الكافر». فاستجاب الله دعاء عابده المؤمنة فشَلَّ يده عنها -حين أراد أن يمدّها إليها بسوء- فقال لها: ادعى ربك أن يطلق يدي ولا أضرك. فدعت سارة ربها؛ فاستجاب الله دعاءها، فعادت يده كما كانت، ولكنه بعد أن أطلق الله يده أراد أن يمدّها إليها مرة ثانية؛ فشَلَّتْ، فطلب منها أن تدعو له حتى تُطلق يده ولا يمسها بسوء،

ففعلت، فاستجاب الله دعاءها، لكنه نكث بالعهد فسلّت مرة ثالثة. فقال لها : ادعى ريك أن يطلق يدي، وعهدٌ لا نكث فيه ألا أمسك بسوء، فدعت الله فعادت سليمة، فقال لمن أتى بها: اذهب بها فإنك لم تأتِ بإنسان، وأمر لها بجارية، وهي "هاجر" -رضي الله عنها- وتركها تهاجر من أرضه بسلام.

ورجع إبراهيم وزوجه إلى فلسطين مرة أخرى، ومضى "لوط" -عليه السلام- في طريقه إلى قوم سدوم وعمورة (الأردن الحالية) يدعوهم إلى عبادة الله، ويحذرهم من الفسوق والعصيان. ومرت الأيام والسنون ولم تنجب سارة بعد ابنًا لإبراهيم، يكون لهما فرحة وسندًا، فكان يؤرقها أنها عاقر لا تلد، فجاءتها جاريتها هاجر ذات مرة؛ لتقدم الماء لها، فأدامت النظر إليها، فوجدتها صالحة لأن تهبها إبراهيم، لكن التردد كان ينازعها؛ خوفًا من أن يبتعد عنها ويقبل على زوجته الجديدة، لكن بمرور الأيام تراجعت عنها تلك الوسواس، وخفّت؛ لأنها تدرك أن إبراهيم - عليه السلام - رجل مؤمن، طيب الصحبة والعشرة، ولن يغير ذلك من أمره شيئًا.

وتزوَّج إبراهيم -عليه السلام- "هاجر"، وبدأ شيء من الغيرة يتحرك في نفس سارة، بعد أن ظهرت علامات الحمل على هاجر، فلما وضعت هاجر طفلها إسماعيل - عليه السلام - طلبت سارة من إبراهيم أن يبعدها وابنها، ولأمر أراد الله أخذ إبراهيم هاجر وابنها الرضيع إلى وادٍ غير ذي زرع من أرض مكة عند بيت الله الحرام، فوضعها هناك مستودعًا إياهما الله، وداعيا لهما بأن يحفظهما الله ويبارك فيهما، فدعا إبراهيم -عليه السلام- ربه بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

لكن آيات الله لا تنفذ، فأراد أن يظهر آية أخرى معها. وذات يوم، جاء نفرٌ لزيارة إبراهيم عليه السلام؛ فأمر بذبح عجل سمين، وقدمه إليهم، لكنه دهش لما وجدهم لا يأكلون، وكان هؤلاء نفر ملائكة جاءوا إلى إبراهيم -عليه السلام- في هيئة تجار، ألقوا عليه السلام فردة عليهم . قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٦٩-٧٠].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٧-٤٨]

وأخبرت الملائكة إبراهيم - عليه السلام - أنهم ذاهبون إلى قوم لوط؛ لأنهم عصوا نبي الله لوطاً، ولم يتبعوه.

وقبل أن تترك الملائكة إبراهيم -عليه السلام- بشروه بأن زوجته سارة سوف تلد ولداً اسمه إسحاق، وأن هذا الولد سيكون ويتزوج، ويولد له ولد يسميه يعقوب.

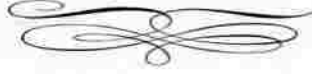
ولما سمعت سارة كلامهم، لم تستطع أن تصبر على هول المفاجأة، فعبرت عن فرحتها، ودهشتها كما تعبر النساء؛ فصرخت تعجباً مما سمعت، وقالت: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٨٠﴾﴾

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ
مَجِيدٌ [هود: ٧٢-٧٣].

وحملت سارة بإسحاق - عليه السلام - ووضعت، فبارك الله لها ولزوجها
فيه ؛ ومن إسحاق انحدر نسل بني إسرائيل .

هذه هي سارة زوجة نبي الله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - التي كانت
أول من آمن بأبي الأنبياء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - حين بعثه الله
لقومه يهديهم إلى الرشده، ثم آمن به لوط ابن أخيه - عليه السلام -، فكان
هؤلاء الثلاثة هم الذين آمنوا على الأرض في ذلك الوقت. وماتت سارة ولها
من العمر ١٢٧ عامًا.

المتوكلة أم موسى



تحت صرخات امرأة ذُبح ابنها، فتحت أيارخا زوجة عمران الباب، بعد أن ابتعدت أقدام جنود فرعون، واختفت ضحكاتهم الوحشية، ومضت إلى جارتها، التي كانت أقرب إلى الموت منها إلى الحياة، تخفف عنها آلامها، وتواسيها في أحزانها.

كان بنو إسرائيل في مصر يمرون بأهوال كثيرة، فقد ضاق بهم "فرعون"، وراح يستعبدهم ويسومهم سوء العذاب؛ نتيجة ما رأى في منامه من رؤيا أفزعته، فدعا المنجّمين لتأويل رؤياه، فقالوا: سوف يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك، ويغلبك على سلطانك، ويبدل دينك. ولقد أطل زمانه الذي يولد فيه حينئذٍ.

ولم يبال فرعون بأي شيء سوى ما يتعلق بملكه والحفاظ عليه، فقتل الأطفال دون رحمة أو شفقة، وأرسل جنوده في كل مكان لقتل كل غلام يولد لبني إسرائيل.

وتحت غيوم البطش السوداء، ورياح الفزع العاتية، وصرخات الأمهات وهن يندبن أطفالهن الذين قُتلوا ظلماً، كان الرعب يسيطر على كيان زوجة عمران، ويستولى الخوف على قلبها، فقد آن وضع جنينها وحن وقته، وسيكون مولده في العام الذي يقتل فرعون فيه الأطفال. واستغرقت في تفكير عميق، يتنازع أطرافه يقين الإيمان ولهفة الأم على وليدها، ووسوسة الشيطان

الذي يريد أن يزلزل فيها ثبات الإيمان، لذلك كانت تستعين دائماً بالله، وتستعيذ به من تلك الوسوس الشريرة .

ولما أكثر جنود فرعون من قتل ذكور بني إسرائيل قيل لفرعون: إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم، ولا يمكن لنسائهم أن يقمن بما يقوم به الرجال من الأعمال الشاقة فتتهدى إلينا، حيث كان بنو إسرائيل يعملون في خدمة المصريين فأمر فرعون بترك الولدان عامًا وقتلهم عامًا، وكان رجال فرعون يدورون على النساء فمن رأوها قد حملت، كتبوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يولدها إلا نساء تابعات لفرعون . فإن ولدت جارية تركنها، وإن ولدت غلامًا؛ دخل أولئك الذباحون فقتلوه ومضوا. ولحكمة الله - تعالى وعظمته - لم تظهر على زوجة عمران علامات الحمل كغيرها ولم تفطن لها القابلات ، وما إن وضعت موسى - عليه السلام - حتى تملكها الخوف الشديد من بطش فرعون وجنوده، واستبد بها القلق على ابنها موسى، وراحت تبكي حتى جاءها وحى الله عز وجل أمرًا أن تضعه داخل صندوق وتلقيه في النيل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

وكانت دار أم موسى على شاطئ النيل، فصنعت لوليدها تابوتًا وأخذت ترضعه، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه، ذهب فوضعتة في التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل عندها.

وذاث يوم، اقترب جنود فرعون، وخافت أم موسى عليه، فأسرعت ووضعتة في التابوت، وأرسلته في البحر، لكنها نسيت في هذه المرة أن تربط التابوت، فذهب مع الماء الذي احتمله حتى مرَّ به على قصر فرعون. وأمام القصر توقف التابوت، فأسرعت الجوارى وأحضرنه، وذهبن به إلى امرأة فرعون، فلما كشفت عن وجهه أوقع الله محبته في قلبها، فقد كانت عاقراً لا تلد. وذاع الخبر في القصر، وانتشر نبأ الرضيع حتى وصل إلى فرعون، فأسرع فرعون نحوه هو وجنوده وهم أن يقتله، فناشدته امرأته أن يتركه، وقالت له: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩].

كاد قلب أم موسى أن يتوقف، فهي ترى ابنها عائماً في صندوق وسط النهر، ولكن الله صبرها، وثبتها، وقالت لابنتها: اتبعيه، وانظري أمره، ولا تجعلي أحداً يشعر بك. وكان قلبها ينفطر حزناً على مصير وليدها الرضيع الذي جرفه النهر بعيداً عنها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقالت لأختيه قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴿[القصص: ١٠-١١]﴾.

فرحت امرأة فرعون بموسى فرحاً شديداً، ولكنه كان دائم البكاء، فهو جائع، ولكنه لا يريد أن يرضع من أية مرضعة، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رآته أخته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك، ولم يشعروا بها، فقالت لهم: أعرف من يرضعه. وأخذته إلى أمه. ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾. فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ [القصص: ١٢-١٣]. هذا هو القدر الإلهي يظهر منه ومضات ليتيقن الناس أن خالق السماوات والأرض قادر على كل شيء: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وما إن وصل موسى -عليه السلام- إلى أمه حتى أقبل على ثديها، ففرحت الجوارى بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة فرعون، فاستدعت أم موسى، وأحسنّت إليها، وأعطتها مالا كثيراً - وهي لا تعرف أنها أمه-، ثم طلبت منها أن تُقيم عندها لترضعه فرفضت، وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك، فأخذته أم موسى إلى بيتها، وتكفلت امرأة فرعون بنفقات موسى. وبذلك رجعت أم موسى بابنها راضية مطمئنة، وعاش موسى وأمه في حماية فرعون وجنوده، وتبدل حالهما بفضل صبر أم موسى وإيمانها.

ولم يكن بين الشدة والفرج إلا يوم وليلة، فسبحان من بيده الأمر، يجعل لمن اتقاه من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً.

زوجة الفراسة والحياء زوجة موسى

يقول ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة ؛ صاحب يوسف حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١]، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب. ولكن ما الذي أخرج موسى من مصر إلى أرض مدين في جنوب فلسطين؛ ليتزوج من ابنة الرجل الصالح، ويرعى له الغنم عشر سنين؟!

كان موسى يعيش في مصر، وبينما هو يسير في طريقه رأى رجلين يقتتلان؛ أحدهما من قومه "بنى إسرائيل"، والآخر من آل فرعون. وكان المصري يريد أن يسخر الإسرائيلي في أداء بعض الأعمال، واستغاث الإسرائيلي بموسى، فما كان منه إلا أن دفع المصري بيده فمات على الفور، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

وفي اليوم التالى تشاجر اليهودى مع رجل آخر فاستغاث بموسى -عليه السلام- مرة ثانية فقال له موسى: إنك لَغَوَى مُبِينٌ؛ فخاف الرجل وباح بالسِّرِّ عندما قال: أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسك بالأمس، فعلم فرعون وجنوده

بخبر قتل موسى للرجل، فجاء رجل من أقصى المدينة يحذر موسى، فأسرع بالخروج من مصر، وهو يستغفر ربه قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

وخرج موسى من مصر، وظل ينتقل حتى وصل إلى أرض مدين في جنوب فلسطين، وجلس موسى -عليه السلام- بالقرب من بئر، ولكنه رأى منظرًا لم يعجبه؛ حيث وجد الرعاة يسقون ماشيتهم من تلك البئر، وعلى مقربة منهم تقف امرأتان تمنعان غنمهما عن ورود الماء؛ استحياءً من مزاحمة الرجال، فأثر هذا المنظر في نفس موسى؛ إذ كان الأولى أن تسقى المرأتان أغنامهما أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما، فذهب موسى إليهما وسألها عن أمرهما، فأخبرتاه بأنهما لا تستطيعان السقى إلا بعد أن ينتهي الرجال من سقى ماشيتهم، وأبوهما شيخ كبير لا يستطيع القيام بهذا الأمر، فتقدم ليسقى لهما كما ينبغي أن يفعل الرجال ذوو الشهامة، فزاحم الرجال وسقى لهما، ثم اتجه نحو شجرة فاستظل بظلها، وأخذ يناجي ربه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وعادت الفتاتان إلى أبيهما، فتعجب من عودتهما سريعاً. وكان من عادتهما أن تمكثا وقتاً طويلاً حتى تسقيا الأغنام، فسألها عن السبب في ذلك، فأخبرتاه بقصة الرجل القوي الذي سقى لهما، وأدى لهما معروفاً دون أن يعرفهما، أو يطلب أجراً مقابل خدمته، وإنما فعل ذلك مروءة منه وفضلاً.

وهنا يطلب الأب من إحدى ابنتيه أن تذهب لتدعوه، فجاءت إليه إحدى الفتاتين تمشي على استحياء، لتبلغه دعوة أبيها: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى

اسْتَحْيَاءَ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ [القصص: ٢٥] ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. واستجاب موسى للدعوة، فلما وصل إلى الشيخ وقص عليه قصته، طمأنه الشيخ بقوله: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

وعندئذ سارعت إحدى الفتاتين -بما لها من فراسة وفطرة سليمة، فأشارت على أبيها بما تراه صالحاً لهم ولموسى -عليه السلام-: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فهي وأختها تعانيان من رعى الغنم، وتريد أن تكون امرأة مستورة، لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى، فالمرأة العفيفة الروح لا تستريح لمزاحمة الرجال. وموسى فتى لديه من القوة والأمانة ما يؤهله للقيام بهذه المهمة، والفتاة تعرض رأيها بكل وضوح، ولا تخشى شيئاً، فهي بريئة النفس، لطيفة الحس.

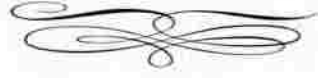
ويقتنع الشيخ الكبير لما ساقته ابنته من مبررات بأن موسى جدير بالعمل عنده ومصاهرته، فقال له: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

ولمّا وَفَّى موسى الأجل وعمل في خدمة صهره عشر سنين، أراد أن يرحل إلى مصر، فوافق الشيخ ودعا له بالخير، فخرج ومعه امرأته وما أعطاه الشيخ من الأغنام، فسار موسى من مدين إلى مصر.

وهكذا كانت زوجة موسى - رضي الله عنها - نموذجًا للمؤمنة، ذات الفراسة والحياء، وكانت قدوة في الاهتمام باختيار الزوج الأمين العفيف.



الملكة المؤمنة آسيا بنت مزاحم



نشأت ملكة في القصور، واعتادت حياة الملوك، ورأت بطش القوة، وجبروت السلطان، وطاعة الأتباع والرعية، غير أن الإيمان أضاء فؤادها، ونور بصيرتها، فسئمت حياة الضلال، واستظلت بظلال الإيمان، ودعت ربها أن ينقذها من هذه الحياة، فاستجاب ربها دعائها، وجعلها مثلاً للذين آمنوا، فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١].

وقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم، وآسية» [أحمد].

إنها آسية بنت مزاحم - امرأة فرعون - التي كانت نموذجاً خلده القرآن للمؤمنة الصادقة مع ربها، فهي عندما عرفت طريق الحق اتبعته دون خوف من الباطل، وظلم أهله، فلقد آمنت بالله إيماناً لا يتزعزع ولا يلين، ولم تفلح تهديدات فرعون ولا وعيده في ثنيها عن إيمانها، أو إبعادها عن طريق الحق والهدى. لقد تاجرت مع الله، فربحت تجارتها، باعته الجاه والقصور والخدم، بثمن غال، بيت في الجنة، وزواج الرسول ﷺ في الآخرة ونعم أجر المؤمنين.

وقد جاء ذكر السيدة آسية - رضي الله عنها - في قصة موسى - عليه السلام - حينما أوحى الله إلى أمه أن تلقه في صندوق، ثم تلقى بهذا الصندوق

في البحر، وفيه موسى، ويلقى به الموج نحو الشاطئ الذي يطل عليه قصر فرعون؛ فأخذته الجواري، ودخلن به القصر، فلما رأت امرأة فرعون ذلك الطفل في الصندوق؛ ألقى الله في قلبها حبه، فأحبته حباً شديداً.

وجاء فرعون ليقتله - كما كان يفعل مع سائر الأطفال الذين كانوا يولدون من بني إسرائيل - فإذا بها تطلب منها أن يبقيه حياً؛ ليكون فيه العوض عن حرمانها من الولد. وهكذا مكن الله لموسى أن يعيش في بيت فرعون، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ۚ إِنَّ فرعونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فرعونَ قُتِلْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص ٧-٩].

وكانت السيدة آسية ذات فطرة سليمة، وعقل واعي، وقلب رحيم، فاستنكرت الجنون الذي يسيطر على عقل زوجها، ولم تصدق ما يدعيه من أنه إله وابن آلهة.

وحينما شبَّ موسى وكبر، ورحل إلى "مدين"، فراراً من بطش فرعون وجنوده ثم عاد إلى مصر مرة أخرى - بعد أن أرسله الله - كانت امرأة فرعون من أول المؤمنين بدعوته. ولم يخفَ على فرعون إيمان زوجته بالله، فجن جنونه، فكيف تؤمن زوجته التي تشاركه حياته، وتكفر به، فقام بتعذيبها حيث عَزَّ عليه أن تخرج زوجته على عقيدته، وتتبع عدوه، فأمر بإنزال أشد

أنواع العذاب عليها؛ حتى تعود إلى ما كانت عليه، لكنها بقيت مؤمنة بالله، واستعذبت الآلام في سبيل الله .

وقد أمر فرعون جنوده أن يطرحوها على الأرض، ويربطوها بين أربعة أوتاد، وأخذت الشياطين تنهال على جسدها، وهي صابرة محتسبة على ما تجدد من أليم العذاب، ثم أمر بوضع رُحَى على صدرها، وأن تُلقى عليها صخرة عظيمة، لكنها دعت ربها أن ينجيها من فرعون وعمله .

فاستجاب الله دعاءها، وارتفعت روحها إلى بارئها، تظللها الملائكة بأجنحتها؛ لتسكن في الجنة، فقد آمنت بربها، وتحملت من أجل إيمانها كل أنواع العذاب، فاستحققت أن تكون من نساء الجنة الخالدات.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" [البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه].



الماشطة



لما أُسرى بالنبي ﷺ شَمَّ ريحًا طيبة، فقال: "يا جبريل ما هذه الريح الطيبة؟" قال: "هذه ريح قبر الماشطة وابنيها وزوجها" [ابن ماجه].

انتشر أمر موسى - عليه السلام - وكثر أتباعه، وأصبح المؤمنون برسالته خطرًا مستمرًا، يهدد فرعون ومُلُكه، وظل فرعون في قصره في حالة غليان مستمر يمشى ذهابًا وإيابًا، يفكر في أمر موسى، وماذا يفعل بشأنه وشأن أتباعه، فأرسل في طلب رئيس وزرائه هامان؛ لبحثًا معًا ذلك الأمر، وقررا أن يقبض على كل من يؤمن بدعوة موسى، وأن يعذب حتى يرجع عن دينه، فسخر فرعون جنوده في البحث عن المؤمنين بدعوة موسى، وأصبح قصر فرعون مقبرة للأحياء من المؤمنين بالله الموحدين له، وكانت صيحات المؤمنين وصرخاتهم ترتفع من شدة الألم، ووطأة التعذيب تلعن الظالمين وتشكو إلى ربها صنيعهم.

وشمل التعذيب جميع المؤمنين، حتى الطفل الرضيع لم ترحمه يد التعذيب، فزاد البلاء، واشتد الكرب على المؤمنين، فاضطر كثير منهم إلى كتمان إيمانه؛ خوفًا من فرعون وجبروته واستعلائه في الأرض، ولجأ الآخرون إلى الفرار بدينهم بعيدًا عن أعين فرعون.

وكان في قصر فرعون امرأة تقوم بتمشيط شعر ابنته وتجميلها، وكانت من الذين آمنوا، وكنتموا الإيمان في قلوبهم، وذات مرة كانت المرأة تمشط ابنة فرعون كعادتها كل يوم، فسقط المشط من يدها على الأرض، ولما همّت بأخذه

من الأرض، قالت: بسم الله. فقالت لها ابنة فرعون: أتقصدين أبي؟ قالت: لا. ولكن ربى ورب أبيك الله، فغضبت ابنة فرعون من الماشطة وهددتها بإخبار أبيها بذلك، ولكن الماشطة لم تخف، فأسرعت البنت لتخبر أباهما بأن هناك في القصر من يكفر به، فلما سمع فرعون ذلك؛ اشتعل غضبه، وأعلن أنه سينتقم منها ومن أولادها، فدعاها، وقال لها: أَوَلَيْكَ رَبٌّ غَيْرِي؟! قالت: نعم، ربى وربك الله. وهنا جُنَّ جنونه، فأمر بإحضار وعاء ضخمة من نحاس وإيقاد النار فيه، وإلقائها هي وأولادها فيه، فما كان من المرأة إلا أن قالت لفرعون: إن لي إليك حاجة، فقال لها: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى في ثوب واحد وتدفننا، فقال: ذلك علينا. ثم أمر بإلقاء أولادها واحداً تلو الآخر، والأم ترى ما يحدث لفلذات كبدها، وهي صابرة محتسبة، فالأولاد يصرخون أمامها، ثم يموتون حرقاً، وهي لا تستطيع أن تفعل لهم شيئاً، وأوشك الوهن أن يدب في قلبها لما تراه وتسمعه، حتى أنطق الله - عز وجل - آخر أولادها - وهو طفل رضيع - حيث قال لها: يا أماء، اصبري، إنك على الحق.

فاقتحمت المرأة مع أولادها النار، وهي تدعو الله أن يتقبل منها إسلامها، فضربت بذلك مثلاً طيباً للمرأة المسلمة التي تعرف الله حق معرفته، وتتمسك بدينها، وتصبر في سبيله، وتمتنح بالإرهاب، فلا تخاف، وتبتلى بالعذاب فلا تنه أو تلين، وماتت ماشطة ابنة فرعون وأبناؤها شهداء في سبيل الله، بعدما ضربوا أروع مثال في التضحية والصبر والفداء.



الزوجة الوفية زوجة أيوب



زوجة صابرة أخلصت لزوجها، ووقفت إلى جواره في محنته حين نزل به البلاء، واشتد به المرض الذي طال سنين عديدة، ولم تُظهر تأففًا أو ضجرًا، بل كانت متماسكة طائعة.

إنها زوجة نبي الله أيوب - عليه السلام - الذي ضُرب به المثل في الصبر الجميل، وقُوَّة الإرادة، واللجوء إلى الله، والارتكان إلى جنبه.

وكان أيوب - عليه السلام - مؤمنًا قانتًا ساجدًا عابدًا لله، بسط الله له في رزقه، ومدَّ له في ماله، فكانت له ألوف من الغنم والإبل، ومئات من البقر والحمير، وعدد كبير من الثيران، وأرض عريضة، وحقول خصيبة، وكان له عدد كبير من العبيد يقومون على خدمته، ورعاية أملاكه، ولم ييخل أيوب - عليه السلام - بماله، بل كان يتفقه، ويجود به على الفقراء والمساكين .

وأراد الله أن يختبر أيوب في إيمانه، فأنزل به البلاء، فكان أول ما نزل عليه ضياع ماله وجفاف أرضه ؛ حيث احترق الزرع وماتت الأنعام، ولم يبق لأيوب شيء يلوذ به ويحتمى فيه غير إعانة الله له، فصبر واحتسب، ولسان حاله يقول في إيمان ويقين : عارية الله قد استردها، ووديعة كانت عندنا فأخذها، نَعِمْنَا بِهَا دَهْرًا، فالحمد لله على ما أنعم، وَسَلَبْنَا إِيَّاهَا الْيَوْمَ، فله الحمد معطيا وسالبا، راضيا وساخطا، نافعا وضارا، هو مالك الملك يؤتى الملك من

يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء . ثم يخرّ أيوب ساجدًا لله رب العالمين .

ونزل الابتلاء الثاني، فمات أولاده، فحمد الله -أيضًا- وخرّ ساجدًا لله، ثم نزل الابتلاء الثالث بأيوب -فاعتلت صحته، وذهبت عافيته، وأنهكه المرض، لكنه على الرغم من ذلك ما ازداد إلا إيمانًا، وكلما ازداد عليه المرض؛ ازداد شكره لله.

وتمر الأعوام على أيوب - عليه السلام - وهو لا يزال مريضًا، فقد هزل جسمه، ووهن عظمه، وأصبح ضامر الجسم، شاحب اللون، لا يقرب على فراشه من الألم. وازداد ألمه حينما بعد عنه الصديق، وفرّ منه الحبيب، ولم يقف بجواره إلا زوجته العطوف تلك المرأة الرحيمة الصالحة التي لم تفارق زوجها، أو تطلب طلاقها، بل كانت نعم الزوجة الصابرة المعينة لزوجها، فأظهرت له من الحنان ما وسع قلبها، واعتنت به ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا. لم تشتك من هموم آلامه، ولا من مخاوف فراقه وموته. وظلت راضية حامدة صابرة مؤمنة، تعمل بعزم وقوة؛ لتطعمه وتقوم على أمره، وقاست من إيذاء الناس ما قاست .

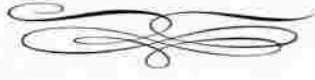
ومع أن الشيطان كان يوسوس لها دائمًا بقوله: لماذا يفعل الله هذا بأيوب، ولم يرتكب ذنبًا أو خطيئة؟ فكانت تدفع عنها وساوس الشيطان وتطلب من الله أن يعينها، وظلت في خدمة زوجها أيام المرض سبع سنين، حتى طلبت منه أن يدعو الله بالشفاء، فقال لها: كم مكثت في الرخاء؟ فقالت: ثمانين . فسألها: كم لبثت في البلاء؟ فأجابت: سبع سنين .

قال: أستحي أن أطلب من الله رفع بلائي، وما قضيتُ منه مدة رخائي. ثم أقسم أيوب - حينما شعر بوسوسة الشيطان لها - أن يضربها مائة سوط، إذا شفاه الله، ثم دعا أيوب ربه أن يكفيه بأس الشيطان، ويرفع ما فيه من نصب وعذاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

فلما رأى الله صبره البالغ، رد عليه عافيته؛ حيث أمره أن يضرب برجله، فتفجر له نبع ماء، فشرب منه واغتسل، فصح جسمه وصلح بدنه، وذهب عنه المرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ أَيُّوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤١-٤٣].

ومن رحمة الله بهذه الزوجة الصابرة الرحيمة أن أمر الله أيوب أن يأخذ حزمة بها مائة عود من القش، ويضربها بها ضربة خفيفة رقيقة مرة واحدة؛ ليبر قسمه، جزاء له ولزوجه على صبرهما على ابتلاء الله ﴿وَخُذْ بِيدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

الملكة بلقيس



استيقظت من نومها والظلام يحيط بكل شيء؛ لتستعد للذهاب مع حاشيتها إلى معبد الشمس الكبير بأرض مأرب على بُعد ثلاثة أميال من صنعاء؛ حيث يستقبل شعب سبأ يومًا من الأيام المقدسة التي تشهد نشاطًا كبيرًا فيقدمون قرابينهم للشمس التي يعبدونها من دون الله. وما إن أشرقت الشمس حتى اخترق نداء الكاهن آذان أهل سبأ يأمرهم بالسجود لها.. وفي الوقت الذي كان يسجد فيه أهل سبأ للشمس، كان نبي الله سليمان - عليه السلام - وجنوده يسجدون لله رب العالمين؛ اعترافًا بحقه - عز وجل - وقد وهب الله لسليمان ملكًا عظيمًا، وكون سليمان جيشًا عظيمًا، من الإنس والجن والطير، وجعل لكل واحد في الجيش مكانًا ومهمة عليه أن ينفذها.

واعتماد "سليمان" - عليه السلام - أن يتفقد جنوده حينًا بعد آخر، وذات مرة لم يجد الهدهد، فقال: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠-٢١]. فجاء الهدهد بعد أن مكث فترة من الزمن، فقال لسليمان - عليه السلام - : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ • إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ • وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٢-٢٤]. ثم أخذ الهدهد

يصف ما رأى وما سمع وكيف يعبدون الشمس من دون الله . ففكر نبي الله
ثم قال: ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧].

عرف الهدهد بفطرته السليمة أن السجود لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى،
كما عرف أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وكيف يتحرك لها حتى وإن لم يكلفه أحد
بهذا العمل، وهكذا يكون الداعية دائماً في كل مكان وزمان. وبعد ذلك كتب
نبي الله عليه السلام رسالة، وأمر الهدهد بالذهاب إلى ملكة سبأ وأن يعطيها
الرسالة، فقال له: ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل: ٢٨].

وبينما كانت بلقيس تستريح من عناء يوم طويل في فراشها، دخل عليها
الهدهد من النافذة، وألقى عليها الكتاب، فقرأته وعلمت ما فيه، وأنه من نبي
الله سليمان - عليه الصلاة والسلام -، فجمعت وزراءها وأعيان قومها
وقرأت عليهم خطاب سليمان، وقالت: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى
كِتَابٍ كَرِيمٍ • إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى
وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣١]، ثم طلبت منهم الرأي والمشورة
﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾
[النمل: ٣٢].

وهي في ذلك تعطي صورة طيبة للشورى عند الحاكم . فأجابها القوم
﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِيٍّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾
[النمل: ٣٣].

لكن بلقيس كانت تعلم قوة سليمان، فأرادت أن تصرف قومها عن الحرب، وأن تردهم إلى الرشاد، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

كان يدور في ذهن بلقيس أمر سليمان، ولم تكن تعلم أن الله سخر له الريح تجرى بأمره، فقالت بحكمة بالغة وحسن تدبير: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] وأخبرتهم أنه إن كان ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبياً فلن يقبل الهدية، ولن يرضى منا إلا أن نتبعه على دينه . ووافق القوم على ذلك، وانصرفوا . فلما جاءت رُسل بلقيس بالهدية إلى سليمان، قال لهم : ﴿أَتُمَدُّونَ بِنَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦] وكيف يقبل الهدية وقد أكرمه الله بالنبوة والحكمة، وأعطاه الله ما لم يعط أحداً من العالمين؟! فقال لرئيس الوفد: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧] وأدرك سليمان بحكمته أن إنذاره هذا سينهى الأمر، وستقبل عليه الملكة مستسلمة طائعة؛ لأنه ظهر من تصرفاتها أنها لا تريد الحرب، وعندما عادوا إليها أخبروها بما حدث، فأرسلت إلى سليمان تخبره أنها سوف تأتي إليه ومعها كبار قومها، وأمرت بلقيس جنودها بحراسة عرشها والحفاظ عليه وإغلاق الأبواب دونه، وخرجت من مملكها متجهة ناحية الشمال، وقبيل حضورها، أراد سليمان أن يبين لها قدرة الله وعظمته، وكيف أعطاه ما لم يعط أحداً من العالمين فأقبل على جنوده قائلاً: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨-٣٩] لكن سليمان استبطأه،

فقام رجل مؤمن من بني إسرائيل، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم، فقال لسليمان: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وبالفعل كان عرش بلقيس أمام نبي الله سليمان فخر ساجداً لعظمة الله، واعترافاً بنعمته، وقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ورأت بلقيس مُلكَ سليمان، وبينما قومها يتهايمسون فيما بينهم على ما يرونه، رأت عرشها بعد أن أمر سليمان جنوده أن يغيروا معاملة، وأن يبدلوا أوضاعه بحيث تختلف فيه الرؤية؛ ليعرف مدى ذكائها ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤١-٤٢].

فلما دخلت بلقيس الصرح الذي أمر نبي الله سليمان جنوده ببنائه من الزجاج بحيث يجري من تحته جدول صغير من الماء حسبته لجة (أى ماء) فكشفت عن ساقها بحركة لاشعورية منها: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]. فلما رأت بلقيس ما وهبه الله لنبيه سليمان قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهكذا كانت بلقيس ملكة سبأ امرأة ذات فراسة وحكمة وذكاء؛ فلم تستبد برأيها في الأمور العظيمة والخطوب الجلييلة، بل استشارت قومها، وهذا يدل على فطنتها فلما عرفت الحق آمنت به وأسلمت لله طوعاً مع سليمان عليه السلام.



تلك هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان، ملكة سبأ، تمكنت من الملك بعد مقتل عمرو ذي الأذعار، فبايعها قومها وولوها الحكم، فأدارت شؤون البلاد بشجاعة وحكمة، ورممت سد مأرب الشهير، وشيدت قصرها في مدينة مأرب، وازدهرت على يديها التجارة والزراعة، وزادت ثروات البلاد واستقرت أحوال الناس.

كانت تعبد الشمس هي وقومها، ثم أكرمها الله تعالى بالإيمان، فأمن قومها برسالة نبي الله سليمان - عليه السلام - فتزوجها سليمان - عليه السلام - وأنجبت له ولداً، إلا أنه توفي شاباً، وتوفيت بعده بلقيس في أنطاكية - رضي الله عنها -.



الأم العذراء

مريم



أنزل الله ملائكة يقولون لها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

ويقول عنها رسول الله ﷺ: "خير نساء العالمين: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة" [ابن حبان].

في جو ساد فيه الظلم والاضطراب، كانت الحياة التي يعيشها بنو إسرائيل بائسة، فقد أفسدوا دينهم وحرّفوا عقيدتهم، وأضحى الواحد منهم لا يأمن على نفسه غدر الآخر، وفي خضم هذا الفساد كان يعيش عمران بن ماثان وزوجته حنة بنت فاقوذ، يعبدان الله وحده ولا يشركان به شيئاً، وكان الزمان يمر بهما دون ولد يؤنسهما. وفي يوم من الأيام جلست حنة بين ظلال الأشجار، فرأت عصفورة تطعم صغيرها، فتحرّكت بداخلها غريزة الأمومة، فدعت الله أن يرزقها ولداً حتى تنذره لخدمة بيت المقدس: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

وتقبل الله منها دعاءها، ولكن حكمته اقتضت أن يكون الجنين أنثى، فكانت السيدة مريم ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

يقول ﷺ في ذلك أنه : "كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها" [مسلم].

لكن القدر كان يخفى لمريم اليتيم، فقد توفي أبوها وهي طفلة صغيرة، وأخذتها أمها إلى الهيكل؛ استجابة لنذرهما، ودعت الله أن يتقبلها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

ولما رآها الأبحار قذف الله في قلوبهم حبها، فتنازعوا على من يكفلها. قال نبي الله زكريا -عليه السلام- وكان أكبرهم سنا: أنا آخذها، وأنا أحق بها؛ لأن خالتها زوجتي - يقصد زوجة أم يحيى، لكن الأبحار أبوا ذلك، فقال لهم زكريا: نقترح عليها، بأن نلقى أقلامنا التي نكتب بها التوراة في نهر الأردن، ومن يستقر قلمه؛ يكفلها، ففعلوا، فأخذ النهر أقلامهم، وظهر قلم زكريا فكفلها. قال تعالى: وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ [آل عمران: ٤٤]. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]. وكان عمر مريم حينئذ لا يتجاوز عامًا، فجعل لها زكريا خادمة في محرابها ظلت معها حتى كبرت، وكان لا يدخل عليها حتى يستأذنها ويسلم عليها، وكان يأتي إليها بالطعام والشراب.

غير أنه كلما دخل عليها قدمت له طبقًا ممتلئًا بالفاكهة، فيتعجب زكريا من الفاكهة التي يراها، حيث يرى فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيقول لها في دهشة: يا مريم من أين يأتي لك هذا؟ فتقول: رزقني به الله. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[آل عمران: ٣٧]، فلما رأى زكريا مارأى من قدرة ربه وعظمته، دعا الله أن يعطيه ولداً يساعده ويكفيه مؤنة الحياة ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٨-٣٩].

مرت السنون وأصبح زكريا شيخاً كبيراً، ولم يعد قادراً على خدمة مريم كما كان يخدمها، فخرج على بني إسرائيل، يطلب منهم كفالة مريم، فتقارعوا بينهم حتى كانت مريم من نصيب ابن خالها يوسف النجار، وكان رجلاً تقياً شريعاً خاشعاً لله. وظل يوسف يخدمها حتى بلغت سن الشباب، فضربت مريم عندئذ على نفسها الحجاب، فكان يأتيها بحاجتها من الطعام والماء من خلف الستار. وبعد ذلك ابتعدت مريم عن الناس، وأصبح لا يراها أحد ولا ترى أحداً ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: ١٦-١٧].

وبينا مريم مشغلة في أمر صلاتها وعبادتها، جاءها جبريل بإذن ربها على هيئة رجل ليبشرها بالمسيح ولداً لها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ففرغت منه، وقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٨-٢١]. يقول المفسرون: إنها خرجت وعليها جلبابها، فأخذ جبريل بكمها، ونفخ في جيب درعها، فحملت حتى إذا ظهر حملها، استحييت، وهربت حياءً من قومها نحو

المشرق عند وادٍ هجره الرعاة. فخرج قومها وراءها يبحثون عنها، ولا يخبرهم عنها أحد. فلما أتاها المخاض تساندت إلى جذع نخلة تبكى وتقول: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]. حينئذ أراد الله أن يسكن خوفها فبعث إليها جبريل ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ • وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا • فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤ - ٢٦].

فاطمأنت نفس مريم إلى كلام الله لها على لسان جبريل، وانطلقت إلى قومها. ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]، أي جئت بشيء منكرٍ وأمرٍ عظيمٍ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ • فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمُهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٨ - ٢٩]، لكن الله لا ينسى عباده المخلصين، فأنطق بقدرته المسيح وهو وليد لم يتعدَّ عمره أيامًا معدودة ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلْنِي نَبِيًّا﴾ • وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا • وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا • وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٣]. فَعَلَّتِ الدَّهْشَةُ وَجُوهَ الْقَوْمِ، وظهرت علامات براءة مريم، فانشرح صدرها، وحمدت الله على نعمته.

لكن أعداء الله - اليهود - خافوا على عرشهم وثرواتهم، فبعث ملكهم جنوده ليقتلوا هذا الوليد المبارك، فهاجرت به مريم، ومعها يوسف النجار إلى مصر، حيث مكثوا بها اثنتي عشرة سنة، تَرَبَّى فيها المسيح، ثم عادت إلى فلسطين بعد موت هذا الملك الطاغية، واستقرت ببلدة الناصرة، وظلت فيها

حتى بلغ المسيح ثلاثين عامًا فبعثه الله برسالته، فشاركته أمه أعباءها، وأعباء اضطهاد اليهود له وكيدهم به، حتى إذا أرادوا قتله، أنقذه الله من بين أيديهم، وألقى شَبَّهُه على أحد تلاميذه الخائنين وهو يهوذا، فأخذه اليهود فصلبوه حيا. بينما رفع الله عيسى إليه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

وتوفيت مريم بعد رفع عيسى -عليه السلام- بخمس سنوات، وكان عمرها حينئذ ثلاثًا وخمسين سنة، ويقال: إن قبرها في أرض دمشق.

هذه هي قصة السيدة المؤمنة مريم كما حكاهنا لنا القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. وقد بين لنا القرآن الكريم كفر اليهود وإلحادهم وإشراك النصارى وأدعائهم. حيث يقول الله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقولهم: المسيح هو ابن الله، وعبادتهم له ولأمه مريم ولروح القدس (جبريل) إنما هو قول باطل، يخرج صاحبه من نور التوحيد إلى ظلام الكفر والشرك.

ولقد نعى الله عليهم ما هم فيه من الشرك والضلال والكفر، وأَوْصَحَ لهم فساد عقيدتهم؛ حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، عسى أن يتوبوا إليه؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ

يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١١٧﴾ [النساء: ١١٧].

ويوضح الله كُفر مَنْ يزعم أن المسيح ابن الله؛ فالمسيح -عليه السلام- لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وََمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

ويقول تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

ويبين الله -تعالى- براءة المسيح مما ادعوه عليه من الألوهية والعبادة. يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ اللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

سيدة نساء قريش خديجة بنت خويلد



كان رسول الله ﷺ لا يخرج من البيت حتى يذكرها فيحسن الثناء عليها.

هي أم المؤمنين، وخير نساء العالمين، السيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - كانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة؛ لطهارة سريرتها وسيرتها، وكان أهل مكة يصفونها بسيدة نساء قريش، وكانت ذات شرف ومال وحزم وعقل، وكان لها تجارة، فاختارت النبي ﷺ ليقوم بها، وبررت ذلك الاختيار بقولها له: إنه مما دعاني إليك دون أهل مكة ما بلغني من صدق حديثك، وعظيم أمانتك، وكرم أخلاقك. وقد سمعت من غلامها ميسرة - الذي رافق النبي ﷺ في رحلته إلى الشام - ما أكد لها صدق حدسها ونظرتها في أمانته وصدقه وحسن سيرته في الناس، فقد روى لها ما رآه في طريق الذهاب والعودة عن الغمامة التي كانت تظلل النبي ﷺ حين يشتد الحر، وعن خلق النبي ﷺ وسلوكياته في التجارة، وأخبرها بأنه كان لا يعرض شيئاً عنوة على أحد، وأنه كان أميناً في معاملاته، فأحبه تجار الشام وفضلوه على غيره. كل هذه الأخبار عن النبي ﷺ جعلت السيدة خديجة - رضي الله عنها - ترغب في الزواج من النبي ﷺ، فعرضت نفسها عليه، وبعثت إليه من يخبره برغبتها في الزواج منه، لما رأت فيه من جميل الخصال وسديد الأفعال.

وفكر رسول الله ﷺ في الأمر، فوجد التي تدعوه إلى الزواج امرأة ذات شرف وكفاءة، من أوسط قريش نسباً، وأطهرهم قلباً ويداً، فلم يتردد.

وتزوج محمد الأمين عليه السلام (وعمره خمسة وعشرون عامًا) خديجة الطاهرة (وعمرها أربعون عامًا)، فولدت له أولاده كلهم - عدا إبراهيم - وهم: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة الزهراء، والقاسم، وعبد الله.

وكانت - رضي الله عنها - مثالا للوفاء والطاعة، تسعى إلى مرضاة زوجها، ولما رأت حبه عليه السلام لخدمها زيد بن حارثة وهبته له.

وعندما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أول من آمن به. فقد جاءها الرسول عليه السلام يرتجف، ويقص عليها ما رأى في غار حراء، ويقول: "زملوني زملوني" أي غطوني. فغطته حتى ذهب عنه ما به من الخوف والفرع، ثم أخبرها - رضي الله عنها - بما رأى في الغار وبما سمع، حتى قال: "لقد خشيتُ على نفسي". فأجابته بلا تردد وطمأنته في حكمة بكلماتها التي نزلت عليه بردًا وسلامًا فأذابت ما به من خوف وهلع، قائلة: "كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" [البخاري]. ثم سارعت إلى التصديق برسالته والدخول معه في الدين الجديد.. فكان قولها الحكيم تثبيتًا لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه.

إنها لحكيمة لبية عاقلة، علمت بشفافيتها ونور بصيرتها حقيقة الأمر، وأن الله لا يجزى عن الخير إلا الخير، ولا يجزى عن الإحسان إلا الإحسان، وأنه يزيد المهتدين هدي، ويزيد الصادقين صدقًا على صدقهم، فقالت: أبشر يا بن عم واثبت، فوالذي نفسى بيده، إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم أرادت أن تؤكد لنفسها ولزوجها صدق ما ذهباً إليه، فتوجهت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان يقرأ في التوراة والإنجيل وعنده علم بالكتاب -فقد تنصر في الجاهلية وترك عبادة الأصنام- فقصت عليه الخبر، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتيني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقول له: فليثبت.

فلما سمعت خديجة -رضي الله عنها- ذلك، أسرع بالرجوع إلى زوجها وقرة عينها رسول الله ﷺ، وأخبرته بالنبوة والبشرى فهدأت من روعه. وكانت -رضي الله عنها- تهيئ للنبي ﷺ الزاد والشراب ليقضى شهر رمضان في غار حراء، وكانت تصحبه أو تزوره أحياناً، وقد تمكث معه أياماً تؤنس وحشته وترعاه.

ولما دخل النبي ﷺ والمسلمون شعب أبي طالب، وحاصروهم كفار قريش دخلت معهم السيدة خديجة -رضي الله عنها-، وذوقت مرارة الجوع والحرمان، وهي صاحبة الثراء والنعيم.

فرضي الله عن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، كانت نعم العون لرسول الله ﷺ منذ أول يوم في رحلة الدعوة الشاقة، آمنت به وصدقته، فكان إيمانها أول البشرى بصدق الدعوة وانتصار الدين. وثبتت إلى جواره وواسته بهاها، وحبها، وحكمتها، وكانت حصناً له ولدعوته ولأصحابه الأولين، بإيمانها العميق، وعقلها الراجح، وحبها الفياض، وجاهها العريض، فوقفت بجانبه حتى اشتد ساعده، وازداد المسلمون، وانطلقت الدعوة إلى ما قدر الله لها من

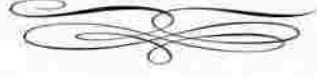
نصر وظهور، وما هيأ لها من ذبوع وانتشار.. فلا عجب إذن إذا ما نزل جبريل على رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها بيت في الجنة من قصب (من لؤلؤ مجوّف) لا صخب فيه ولا نصب (لا ضجيج فيه ولا تعب) [متفق عليه]. ولا عجب إذا ما تفانى رسول الله ﷺ في حبها، إلى درجة يقول معها: "إنى لأحب حبيبها" [الدولابي].

وكان رسول الله ﷺ ربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صواحب خديجة" [الدولابي - عنه ابن حجر في الإصابة].

لقد كانت مثالا للزوجة الصالحة، وللأم الحانية، وللمسلمة الصادقة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "كُمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد" [متفق عليه]. وتُوفيت -رضي الله عنها- في رمضان قبل الهجرة بأعوام ثلاثة، في نفس العام الذي تُوفّي فيه أبو طالب: عام الحزن كما سماه رسول الله ﷺ، حيث فقد فيه المعين والسند، إلا رب العالمين. ودفنت بالحجون، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها التي دفنت فيها، وكان موتها قبل أن تشرع صلاة الجنائز.



المهاجرة أرملة المهاجر سودة بنت زمعة



لُقِّبَت بالمهاجرة أرملة المهاجر، لأنها أسلمت وهاجرت بدينها إلى الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو بن عبد شمس، وتحملت مشاق الهجرة ومتاعب الغربة، وتوفي زوجها بعد أن عاد معها من الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة، وأمست سودة وحيدة لا عائل لها ولا معين، فأبوها مازال على كفره وضلاله، ولم يزل أخوها عبد الله بن زمعة على دين آبائه، فخشيت أن يفتناها في دينها.

فلما سمع الرسول ﷺ ما أصاب السيدة سودة وصبرها والتجاءها إلى الله؛ خشي عليها بطش أهلها، وهم أعداء الإسلام والمسلمين، فأراد ﷺ أن يرحمها ويتجدها من عذابها، ويعينها على حزنها، ويجزيها على إسلامها وإيمانها خيراً، فأرسل إليها خولة بنت حكيم -رضي الله عنها- تخطبها له، وكانت السيدة خديجة -رضي الله عنها- قد ماتت، وهو بغير زوجة، وكانت سودة قد بلغت من العمر حينئذ الخامسة والخمسين، بينما كان رسول الله ﷺ في الخمسين من عمره.

وحين دخلت خولة عليها قالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: سودة: وما ذاك؟ فقالت خولة: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك لأخطبك إليه. قالت: وددت ذلك. فقالت خولة: دخلت على أبيها وكان

شيخًا كبيرًا مازال على جاهليته وحيثته بتحية أهل الجاهلية، فقلت: أنعم صباحًا. فقال: من أنت؟ قلت: خولة بنت حكيم. فرحب بي، وقال ما شاء الله أن يقول. فقلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر سودة ابنة زمعة، فقال: هو كفء كريم، فما تقول صاحبتك؟ قلت: تُحبُّ ذلك. قال: ادعوها إلي. ولما جاءت قال: أي سودة، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أفتحبين أن أزوجه؟ قالت: نعم. قال: فادعوه لي. فدعته خولة، فجاء فزوجه.

وفي رواية ابن سعد: أن النبي ﷺ خطبها، فقالت: أمرى إليك، فقال لها مُرى رجلا من قومك يزوجه. فأمرت حاطب بن عمرو (وهو ابن عمها وأول مهاجر إلى الحبشة) فزوجه.

ودخلت السيدة سودة بنت زمعة -رضي الله عنها- بيت النبوة، وأصبحت واحدة من أمهات المؤمنين، وكانت الزوجة الثانية لرسول الله ﷺ، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات.

وكانت السيدة سودة مثالا نادرًا في التفاني في خدمة النبي ﷺ وابنته أم كلثوم وفاطمة، فكانت تقوم على رعايتهما بكل إخلاص ووفاء، ثم هاجرت مع الرسول ﷺ إلى المدينة.

وكانت السيدة سودة ذات فطرة طيبة ومرح، وكانت ممتلئة الجسم، فكان رسول الله ﷺ كلما رآها تمشي ضحك لمشيها، فكانت تكثر المشي أمامه كي تضحكه، وتدخل السرور عليه، وكانت تتقن من الكلمات ما تظن أنه يضحكه.

وكانت السيدة سودة - رضي الله عنها - تحب رسول الله ﷺ حباً شديداً، وكانت تسعى إلى مرضاته دائماً، فلما كبرت في السن، ولم تعد بها إلى الأزواج حاجةً، وأحست بعجزها عن الوفاء بحقوق النبي ﷺ، أرادت أن تصنع من أجله شيئاً يعجبه ويرضيه ويرفع مكانتها عنده... فاهتدت إلى أن تهب يومها لعائشة؛ لعلمها أنها حبيبة إلى قلب رسول الله ﷺ، وحتى لا تشعر رسول الله ﷺ بالحرَج، وبررت له ما أقدمت عليه بقولها: ما بى على الأزواج من حرص، ولكنى أحب أن يعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك. وتفرغت للعبادة والصلاة.

قال لها رسول الله ﷺ: «يا بنت زمعة، لو تعلمين علم الموت، لعلمت أنه أشد مما تظنين» [ابن المبارك].

وكانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - تغطيها على عبادتها وحسن سيرتها، قالت: ما رأيت امرأة أحب إلى أن أكون في مسلاخها (هدايا وصلاحها) من سودة.

ولما خرجت سودة - رضي الله عنها - مع رسول الله ﷺ إلى حجة الوداع! قال: "هذه الحجة، ثم ظهور الحُصْر" (أى الزَمَنَ بيوتكن ولا تخرجن منها). فكانت - رضي الله عنها - تقول: حججت واعتمرت فأنا أقرُّ في بيتي كما أمرني الله عز وجل، ولا تحر كنا دابة بعد رسول الله ﷺ. [ابن سعد].

وكانت السيدة سودة - رضي الله عنها - زاهدة في الدنيا مقبلة على الآخرة. بعث إليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافته ببعض الدراهم، فوزعتها على الفقراء والمساكين.



وظلت كذلك حتى توفيت في آخر خلافة عمر فحضر جنازتها، وصلى عليها، ودفنت بالبقيع.

وكان للسيدة سودة نصيب من العلم والرواية، فقد روت -رضي الله عنها- أحاديثاً لرسول الله ﷺ.



أم المؤمنين- الحبيبة عائشة بنت أبي بكر



لما سأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه قال:
"عائشة" [متفق عليه].

وعندما جاءت أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- إلى النبي ﷺ
لتشتكى من أمر يتعلق بعائشة، قال لها النبي ﷺ: "يا أم سلمة لا تؤذيني في
عائشة؛ فإنه -والله- ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها"
[متفق عليه].

وُلدت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قبل الهجرة بحوالى
ثمانى سنوات، في بيت عامر بالإيمان، ممتلىء بنور القرآن، فأبوها الصديق أبو
بكر صاحب رسول الله ﷺ، وثانى اثنين إذ هما في الغار، وأول من آمن من
الرجال، وأول خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ، وأُمها السيدة أم رومان
بنت عامر، من أشرف بيوت قريش وأعرقها في المكانة.

وقد شاركت السيدة عائشة -رضي الله عنها- منذ صباها في نصرة
الإسلام، فكانت تساعد أختها الكبيرة أسماء في تجهيز الطعام للنبي ﷺ
وأبيها وهما في الغار عند الهجرة.

وبعد أن استقر مقام المسلمين في مدينة رسول الله ﷺ أرسل أبو بكر
الصديق إلى ابنه عبد الله يطلب منه أن يهاجر بأهل بيته: عائشة، وأسماء، وأم

رومان، فاستجاب عبد الله بن أبي بكر ومضى بهم مهاجرًا، وفي الطريق هاج بعير عائشة فصاحت أم رومان: وابنتاه وا عروساه. ولكن الله لطف، وأسرع الجميع إلى البعير ليسكن، وكان في ركب الهجرة السيدة فاطمة الزهراء والسيدة أم كلثوم بنتا رسول الله ﷺ وأم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة، ونزلت السيدة عائشة مع أهلها في دار بني الحارث بن الخزرج، ونزل آل النبي ﷺ في منزل حارثة بن النعمان.

وبدأت مرحلة جديدة في حياة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقد تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست سنين، وبني بها وهي بنت تسع سنين. [البخاري].

وكان بيت النبي ﷺ الذي دخلت فيه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حجرة واحدة من الطوب اللين - النّبيّ - والطين، ملحق بها حجرة من جريد مستورة بالطين، وكان باب حجرة السيدة عائشة مواجهًا للشام، وكان بمصراع واحد من خشب، سقفه منخفض وأثاثه بسيط: سرير من خشبات مشدودة بحبال من ليف عليه وسادة من جلد حشوها ليف، وقربة للماء، وآنية من فخار للطعام والوضوء.

وفي زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة - رضي الله عنها - تقول: قال رسول الله ﷺ: "أُرِيتُك في المنام مرتين: أرى أنك في سرقة (قطعة) من حرير، ويقول: هذه امرأتك. فأكشف فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضِه" [البخاري ومسلم وأحمد]. وانتظر رسول الله ﷺ فلم يخطب عائشة حتى جاءته خولة زوج صاحبه عثمان بن مظعون ترشحها له.

أحبت السيدة عائشة النبي حباً كبيراً، ومن فرط هذا الحب كانت فطرتها - مثل النساء - تغلبها فتغار.

ومرت الأيام بالسيدة عائشة هادئة مستقرة حتى جاءت غزوة بني المصطلق، فأقرع النبي ﷺ بين نسائه (أى أجرى القرعة بينهم لتخرج معه واحدة في السفر) وكان من عادته ﷺ أن يفعل ذلك مع أزواجه إذا خرج لأمر، فخرج سهمها فخرجت معه ﷺ، حتى إذا فرغ النبي من غزوته، وعاد المسلمون منتصرين، استراح المسلمون لبعض الوقت في الطريق، فغادرت السيدة عائشة هودجها، فانسَلَّ عقدها من جيدها (عنقها)، فأخذت تبحث عنه.. ولما عادت كانت القافلة قد رحلت دون أن يشعر الركب بتخلفها عنه، وظلَّت السيدة عائشة وحيدة في ذلك الطريق المقفر الخالي حتى وجدها أحد المسلمين - وهو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل - رضي الله عنه - فركبت بعيره، وسار بها، والله ما كلمها ولا كلمته، حتى ألحقها برسول الله ﷺ، إلا أن أعداء الله تلقفوا الخبر ونسجوا حوله الخزعبلات التي تداعت إلى أذن الرسول ﷺ، وأثرت في نفسه، ونزلت كالصاعقة عليه وعلى أبيها "أبى بكر" وأمها "أم رومان" وجميع المسلمين، لكن الله أنزل براءتها من فوق سبع سماوات فنزل في أمرها إحدى عشرة آية؛ لأنه يعلم براءتها وتقواها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

وتقول السيدة عائشة لما علمت بحديث الإفك: وبكيت يومى لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتي ويوماً، حتى أظن

أن البكاء فائق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكى استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكى معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فجلس - ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها - وقد مكث شهراً لا يُوحى إليه في شأنى شيء، فتشهد، ثم قال: "يا عائشة، فإنه بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرتك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه". فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عنى رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله لا أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبى عنى رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ، وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن. إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يُحدثُ به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، وإن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقوننى بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنى بريئة - لتصدقننى، والله ما أجد لى ولكم مثلاً إلا قول أبى يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. ثم تحولت على فراشى وأنا أرجو أن يبرئنى الله، ولكن والله ما ظننت أن يُنزل في شأنى وحياً، ولأنا أحقر في نفسى من أن يتكلم بالقرآن في أمرى، ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا تبرئني، فوالله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي.. فلما سُرى عن رسول الله ﷺ إذا هو يضحك (أى انكشف عنه الوحي ثم ابتسم)، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: "يا عائشة، احمدي الله، فقد برأك الله". فقالت لى أمي: قومي إلى رسول

الله ﷺ، فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: إن الذين جاءوا بالإفك. [البخاري].

وأراد النبي ﷺ أن يصالحها فقال لها ذات يوم: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت على غضبي". فقالت رضي الله عنها: من أين تعرف ذلك؟ فقال: "أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم". فأجابت: أجل، والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك. [البخاري].

تلك هي المؤمنة، لا يخرجها غضبها عن وقارها وأدبها، فلا تخرج منها كلمة نابية، أو لفظة سيئة.

ولما اجتمعت نساء النبي ﷺ ومعهن السيدة عائشة لطلب الزيادة في النفقة منه رغم علمهن بحاله، قاطعن رسول الله ﷺ تسعة وعشرين يوماً حتى أنزل الله تعالى قوله الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]. فقام النبي ﷺ بتخيير أزواجه فبدأ بعائشة فقال: "يا عائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك".

قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: "إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٨٢]. حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٢٩]. فقلت: في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وكذا فعل أزواج النبي جميعًا.

وعاشت السيدة عائشة مع رسول الله حياة إيمانية يملأها نور التوحيد وسكينة الإيمان، وقد حازت - رضي الله عنها - علمًا غزيرًا صافيًا من نبع النبوة الذي لا ينضب، جعلها من كبار المحدثين والفقهاء، فرُوى عنها من صحيح الحديث أكثر من ألفين ومائة حديث، فكانت بحرًا زاخرًا في الدين، وخزانة حكمة وتشريع، وكانت مدرسة قائمة بذاتها، حيثما سارت يسير في ركايبها العلم والفضل والتقوى، فقد ورد عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: ما أُشكِلَ علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا.

وكان للسيدة عائشة - رضي الله عنها - علم بالشعر والطب، بالإضافة إلى علمها بالفقه وشرائع الدين.

وكان عروة بن الزبير - رضي الله عنه - يقول: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا طب ولا بشعر من عائشة - رضي الله عنها -.

ومن جميل ما أسدته السيدة عائشة للمسلمين أنها كانت سببًا في نزول آية التيمم، يروى عنها أنها قالت: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان بئربان (بلد يبعد عن المدينة عدة أميال وهو بلد لا ماء به) وذلك وقت السحر، انسلت قلادة من عنقي فوقعت، فحبس على رسول الله ﷺ (أى أمر بالبقاء لالتماسها في الضوء) حتى طلع الفجر، وليس مع القوم ماء، فلقيت من أبي ما الله به عليم من التعنيف والتأفف، وقال: في كل سفر للمسلمين يلقون منك

عناء وبلاء، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فتيمم القوم وصلوا، قالت: يقول أبى حين جاء من الله الرخصة للمسلمين: والله ما علمت يا بنية إنك لمباركة!! ما جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر!! وفى رواية قال لها أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة.

لم يتزوج رسول الله ﷺ بكرة غيرها، فلقد تزوجها بعد أم المؤمنين خديجة وأم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنهن جميعاً؛ رغبة منه في زيادة أواصر المحبة والصداقة بينه وبين الصديق - رضي الله عنه - . وكانت منزلتها عنده ﷺ كبيرة، وفاضت روحه الكريمة في حجرها. وعاشت - رضي الله عنها - حتى شهدت الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وحضرت معركة الجمل، وكانت قد خرجت للإصلاح.

واشتهرت - رضي الله عنها - بحيائها وورعها، فقد قالت: كنت أدخل البيت الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبى - رضي الله عنه - واضعة ثوبى وأقول إنما هو زوجى وهو أبى، فلما دُفِنَ عمر - رضي الله عنه - (معهما) والله ما دخلته إلا مشدودة على ثيابى حياة من عمر - رضي الله عنه - .

وكانت من فرط حيائها تحتجب من الحسن والحسين، في حين أن دخولهما على أزواج النبي ﷺ حل لهما.

وكانت - رضي الله عنها - كريمة؛ فيُروى أن "أم درة" كانت تزورها، فقالت: بُعث إلى السيدة عائشة بهال في وعاءين كبيرين من الخيش: ثمانين أو مائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسم بين الناس،

فأُمسّت وما عندها من ذلك المال درهم، فلما أُمست قالت: يا جارية هلمّي إِفطاري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم درة: أما استطعت مما قُسمت اليوم أن تشتري لنا لحمًا بدرهم فنفطر به. فقالت: لا تُعَنِّفيني، لو كنتِ ذكّرتيني لفعلت.

ومن أقوالها:

- * لا تطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يسخط الله.
- * كل شرف دونه لؤم، فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به.
- * إن الله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير، كلما خفقت الريح؛ خفقت معها، فأفّ للجبّاء، فأفّ للجبّاء.
- * أفضل النساء التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدى لمكر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبعْلِها، والإبقاء في الصيانة على أهلها.
- * التمسوا الرزق في خبايا الأرض.
- * رأت رجلاً متماوّاً فقالت: ماهذا؟ فقليل لها: زاهد. قالت: كان عمر بن الخطاب زاهداً ولكنه كان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب في ذات الله أوجع.
- * علّموا أولادكم الشعر تعذّب ألسنتهم.

هذه هي السيدة عائشة بنت الصديق - رضي الله عنها - حبيبة رسول الله ﷺ، والتي بلغت منزلتها عند رسول الله ﷺ مبلغاً عظيماً، فقد رضي الله

عنها لرضا رسوله ﷺ عنها، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: "يا عائش! هذا جبريل يقرئك السلام". فقلتُ: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته" [متفق عليه].

وفي ليلة الثلاثاء ١٧ من رمضان في السنة ٥٧ من الهجرة توفيت أم المؤمنين السيدة عائشة وهي في سن السادسة والستين من عمرها، ودفنت في البقيع، وسارت خلفها الجموع باكية عليها في ليلة مظلمة حزينة، فرضي الله عنها وأرضاها.



صاحبة سر رسول الله حفصة بنت عمر



لما فرغ زيد بن ثابت -رضي الله عنه- من جمع القرآن بأمر من أبي بكر -رضي الله عنه-، كانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر، حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر -رضي الله عنها- ثم أخذها عثمان -رضي الله عنه- فنسخها، ثم ردها إليها فكانت في حوزتها إلى أن ماتت.

وُلدت السيدة حفصة قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين، في بيت شريف كريم، فأبوها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأمها السيدة زينب بنت مطلق بن حبيب.

أسلمت حفصة مبكرًا هي وزوجها خنيس بن حذافة السهمي القرشي، وهاجرت معه إلى الحبشة فرارًا بدينهما، ثم إلى المدينة بعد أن بدأت الدعوة في الانتشار، وشهد زوجها بدرًا، ومات في غزوة أحد بعد جرح أصابه، وترك حفصة شابة لم تتجاوز عامها الحادي والعشرين. وبعد أن انقضت عدتها ذكرها عمر عند عثمان بن عفان، ثم أبي بكر، فلم يردها عليه بالقبول، فجاء عمر إلى النبي ﷺ يشكو إليه إعراض أبي بكر وعثمان عن ابنته حفصة، فقال ﷺ: "يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة". ثم خطبها الرسول ﷺ من عمر، فتزوجها فلقى أبو بكر عمر

بن الخطاب، فقال له: لا تجد ﴿لا تغضب﴾ على في نفسك ؛ فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها. [ابن سعد].

وبنى بها النبي ﷺ في شعبان من السنة الثالثة للهجرة، وكان زواج النبي ﷺ من حفصة ؛ إكرامًا لها ولأبيها وحُبًا فيهما، وذات يوم قالت امرأة عمر له: عجبًا يا بن الخطاب ! ما تريد إلا أن تجادل وابتك تجادل رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فذهب عمر ابن الخطاب من فوره إلى حفصة غضبان يقول لها: يا بنتي إني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله. كانت السيدة حفصة -رضي الله عنها- عابدة خاشعة، تقوم الليل، وتصوم النهار، لذا كرمها الله تعالى بفضله وجعلها من نساء النبي ﷺ في الجنة.

وشهدت حفصة -رضي الله عنها- انتصارات الإسلام واتساع دولته، وروت ٦٠ حديثًا عن رسول الله ﷺ.

توفيت حين بويع الحسن بن علي -رضي الله عنهما- وذلك في جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة، وقيل توفيت سنة ٤٥ هـ.

سُميت بأم المساكين لرحمتها بهم ورقتها عليهم ؛ فكانت تطعمهم وتكسوهم، وتقضى حوائجهم، وتقوم على أمرهم.

تزوجها النبي ﷺ في السنة الثالثة للهجرة، بعد زواجه من السيدة حفصة - رضي الله عنها - بوقت قصير، وذلك بعد أن استشهد زوجها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب - ابن عم رسول الله - إثر جرح أصابه يوم بدر،

وتركها بلا عائل؛ فرحم النبي ﷺ وحدتها، وتقدم إليها بخطبها، فجعلت أمرها إليه؛ فتزوجها ﷺ.

ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. أنها من بين الواهبات أنفسهن للنبي ﷺ، ورسول الله ﷺ لم يتزوج واحدة من أولئك اللاتي وهبن أنفسهن، فإن صح الخبر، تكون أم المساكين - رضي الله عنها - قد أعلنت عن رغبتها في أن تكون زوجة له، فاستجاب الرسول ﷺ لرغبتها وتزوجها.

إنها السيدة زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها - التي أكرمها الله عز وجل بالزواج من رسوله ﷺ، وجعلها في كنفه وإلى جواره، وكفى بها كرامة.

وكانت السيدة زينب - رضي الله عنها - أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - من أمها، وقد تزوج النبي ﷺ السيدة ميمونة سنة سبع من الهجرة لما اعتمر عمرة القضاء، وذلك بعد وفاة أختها السيدة زينب - رضي الله عنها، وهي في الثلاثين من عمرها.

عاشت السيدة زينب في بيت النبي ﷺ نحو ثلاثة أشهر، ثم ماتت، ولحقت بالسيدة خديجة بنت خويلد لتكون ثاني زوجات النبي ﷺ موتاً في حياته - ولم يمت في حياته ﷺ غيرهما - فقام النبي ﷺ على أمر جنازتها، وصلى عليها، ودفنها في البقيع، فكانت أول زوجة من زوجاته ﷺ تدفن في هذا المكان المبارك.



صاحبة الرأي والمشورة أم سلمة

في يوم الحديبية دخل رسول الله ﷺ عليها، يشكو إليها عدم إجابة المسلمين لمطلبه حين أمرهم بالنحر والخلق. فقالت - رضي الله عنها - للنبي ﷺ: يا رسول الله! اخرج فلا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنُكَ، وتدعو حالقك فيحلقك، ففعل النبي ذلك بعد أن استصوب رأى أم سلمة، عندها قام الناس فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا.

إنها أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة من بني فزارة، وكان أبوها يعرف بلقبه (زاد الراكب)؛ لأنه كان جوادًا، فكان إذا سافر لا يترك أحدًا يرافقه ومعه زاد إلا وحمله عنه. وكانت أم سلمة - رضي الله عنها - أكبر زوجات النبي ﷺ.

عندما علم المسلمون المهاجرون إلى الحبشة بدخول عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب في الإسلام ازداد حنينهم لمكة وللرسول ﷺ، فعادت أم سلمة وزوجها عبد الله بن عبد الأسد - الصحابي الجليل وصاحب الهجرتين وابن عمه رسول الله ﷺ - الذي استجار بأبي طالب بن عبد المطلب فأجاره، لكن أبا طالب لم يلبث أن فارق الحياة، فاشتدت العداوة بين قريش والمسلمين، وأمر النبي ﷺ أصحابه حينئذ بالهجرة إلى يثرب.

تقول أم سلمة في هذا: إنه لما أراد أبو سلمة الخروج إلى المدينة، أعد لي بعيراً، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره.

فلما رآته رجال بني المغيرة، قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد؟! فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه عنوة. وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد - قوم أبي سلمة - فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق بنوأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ففرّق بيني وبين زوجي وبين ابني، فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما زلت أبكي حتى مضت سنة أو نحوها.

فمرّ بي رجل من بني عمي - أحد بني المغيرة - فرأى ما بي، فرحمني. فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها. وما زال بهم حتى قالوا: الحقى بزواجك إن شئت. وردّ علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني، فرحلت ببعيري ووضعت ابني في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وماعى أحد من خلق الله.

حتى إذا كنت بالتنعيم - مكان على فرسخين من مكة - لقيت عثمان بن طلحة، فقال: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله، إلا الله وابني هذا. فقال: والله مالك من مترك. وأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب

أراه كان أكرم منه ؛ إذا نزل المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه ورحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري، أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي.

فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء - وكان بها منزل أبي سلمة في مهاجرة - قال: إن زوجك في هذه القرية، فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

فكانت أم سلمة بذلك أول ظعينة (مهاجرة) دخلت المدينة، كما كان زوجها أبو سلمة أول من هاجر إلى يثرب من أصحاب النبي ﷺ، كما كانا أول مهاجرين إلى الحبشة.

وفي المدينة عكفت أم سلمة - رضي الله عنها - على تربية أولادها الصغار؛ سلمة وعمر وزينب ودرة. وجاهد زوجها في سبيل الله، فشهد مع النبي ﷺ بدرًا وأحداً، واستعمله ﷺ على المدينة إبان غزوة العشيرة ؛ نظراً لإخلاصه وحسن بلائه، وجعله أميراً - مرة - على سرية، وكان معه مائة وخمسون رجلاً منهم "أبو عبيدة بن الجراح"؛ وذلك عندما بلغ النبي ﷺ أن بني أسد يُعدُّون لمهاجمته في المدينة. فعاد أبو سلمة مظفراً، لكن جرحه الذي أصيب به يوم أحد انتكأ بصورة شديدة أودت بحياته، فمات شهيداً.

فقالت له أم سلمة يوماً: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تتزوج بعده، إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها.. فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي، وألا أتزوج بعدك.

قال: فإذا مت فتزوجي، ثم قال: اللهم ارزق "أم سلمة" بعدى رجلاً خيراً منى لا يحزنها ولا يؤذيها. [ابن سعد]. فلما انتهت عدتها من وفاة زوجها - رضي الله عنه - تقدم أبو بكر، ثم عمر - رضي الله عنهما - ليخطبها ولكنها ردتها رداً جميلاً.

وكان رسول الله ﷺ يواسيها ويخفف عنها لما توفي زوجها، ويقول لها: "قولي: اللهم اغفر لنا وله، وأعقبني منه عقبى صالحة" [أحمد ومسلم وأبو داود].

ومرت الأيام، وأراد رسول الله ﷺ أن يتزوجها، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة يخطبها له. فقالت السيدة أم سلمة: مرحباً برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله ﷺ أنى امرأة غَيْرِي (شديدة الغيرة)، وأنى مُصِيبَةٍ (عندى صبيان)، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً. فبعث إليها رسول الله ﷺ يقول: "أما قولك: إنك امرأة مصيبة، فالله يكفيك صبيانك (وفى رواية: أما أيتامك فعلى الله ورسوله)، وأما قولك: إنك غَيْرِي، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء، فليس منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضى بي" [ابن سعد].

فلما وصلها جواب رسول الله ﷺ فرحت به، ووافقت على الزواج منه ﷺ؛ فتزوجها ونزلت أم سلمة من نفس النبي ﷺ منزلاً حسناً؛ فكان ﷺ إذا صلى العصر دخل على أزواجه مبتدئاً بأم سلمة ومنتهاً بعائشة؛ رضي الله عنهن أجمعين.

وقد شهدت أم سلمة - رضي الله عنها - مع رسول الله ﷺ فتح خيبر، وفتح مكة وصحبته في حصار الطائف، وفي غزوة هوازن وثقيف، وكانت معه في حجة الوداع.

وظلت السيدة أم سلمة تنعم بالعيش مع رسول الله ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى.

وتعد السيدة أم سلمة - رضوان الله عليها - من فقهاء الصحابة. رُوِيَ عنها ٣٨٧ حديثًا، وأُخرج لها منها في الصحيحين ٢٩ حديثًا، والمتفق عليه منها ١٣ حديثًا، وقد روى عنها الكثيرون. وامتد عمرها فكانت آخر من تُوفِّي من نساء النبي ﷺ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ٥٩ للهجرة، وقد تجاوزت الثمانين عامًا.

السيدة زينب بنت جحش



هي ابنة عمّة الرسول ﷺ ، اختار النبي ﷺ مولاه زيد بن حارثة زوجاً لها، فقالت: أنا لا أرضاه لنفسي وأنا أئيم قریش. فقال لها ﷺ: "أنا رضىته لك" [البخاري]. ونزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فنكّدت زينب أمر الرسول ﷺ، وتزوجت زیداً، وكان صداقها عشرة دنانير، وستين درهماً، وخمراً، ودرعاً، وخمسين مِداً، وعشرة أمداد من تمر.

وعاشت عنده ما يقرب من سنة أو يزيد، ثم حدث خلافٌ بينهما، فذهب زيد إلى الرسول ﷺ، يشكو زوجته، ويستأذنه في تطليقها، فنصحه أن يصبر، وقال له: "أمسك عليك زوجك واتق الله" [البخاري]. ولكنه لم يستطع أن يستكمل معها حياته، فطلقها.

ثم نزل أمر الله تعالى على رسوله ﷺ بالزواج منها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وذلك لإبطال عادة التبني التي سنّها الجاهليون. وبعد انتهاء عدتها من زيد، أرسله النبي ﷺ إليها يخطبها إلى نفسه، وتلا عليها الآيات، ففرحت فرحاً شديداً، وسجدت لله شكراً، ونذرت صوم شهرين لله.

وكانت السيدة زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، فتقول: "زَوَّجُنَّ أَهْلِيكُنَّ، وزَوَّجَنِي اللهُ من فوق سبع سماوات" [البخاري].

وعاشت - رضي الله عنها - مع النبي ﷺ حياة كلها حب وإيمان، وكانت تتصف برقة القلب والعطف على المساكين. وكانت تجيد دبغ الجلود وخرزها، فتعمل وتنفق ما تكسبه على المساكين.

وكان الرسول ﷺ يقول لزوجاته: «أَسْرَعُكُنَّ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» (وكان ﷺ يقصد بطول اليد: الصدقة) [البخاري]. وكانت السيدة زينب - رضي الله عنها - أول من ماتت من أمهات المؤمنين بعد الرسول ﷺ، وكان ذلك في سنة ٢٠هـ.



عاتقة المائة جويرية بنت الحارث



اختارت جوار الله ورسوله، وفضلت الإسلام على اليهودية، فيروى أنه لما جاء أبوها الحارث بن أبي ضرار -سيد يهود "بنى المصطلق" وزعيمهم- إلى النبي ﷺ يقول: إن ابنتي لا يُسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك. قال له النبي ﷺ: "أرأيت إن خيرناها؟" فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيرك، فلا تفضحين. فقالت: فإني قد اخترت الله ورسوله. قال: "قد والله فضحتنا" [ابن سعد]. ثم أقبل أبوها في اليوم التالي ومعه فداؤها فلما كان بالعقيق (وادي قرب المدينة) نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بيعين منها طمعاً فيهما، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبي ﷺ يقول: يا محمد، أصبتهم ابنتي وهذا فداؤها.

فقال رسول الله ﷺ: "فأين البعيران اللذان غيبت (خبأت) بالعقيق في شعب كذا وكذا؟".

قال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فوالله ما أطلعك على ذلك إلا الله. فأسلم، وأسلم ابنان له، وكثير من قومه، وأرسل بمن جاء بالبعيرين، ودفع بالإبل جميعاً إلى النبي ﷺ. فكانت -رضي الله عنها- سبباً في إسلام أهلها، ونالت بذلك ثواب هدايتهم، إنها أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار.

تقول جويرية -رضي الله عنها-: قال لي أبي وهو يبرر هزيمته أمام جيش رسول الله ﷺ: "أنا ما لا قبل لنا به". فلما أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ، ورجعنا إلى المدينة جعلت أنظر إلى المسلمين، فرأيتهم ليسوا كما سمعتُ. فعلمتُ أنه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين.

اشتهرت جويرية بكثرة عبادتها وقنوتها لله، فقد خرج النبي ﷺ من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: "ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟" قالت: نعم. قال النبي ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته [مسلم]. فكانت -رضي الله عنها- كثيرًا ترددها.

وقد كانت جويرية قبل أن تتزوج النبي ﷺ متزوجة من رجل مشرك، هو ابن عمها مسامح بن صفوان، وقد قُتل في غزوة بني المصطلق في السنة السادسة للهجرة، حين خرج النبي ﷺ لقتال يهود بني المصطلق لما بلغه استعدادهم لقتال المسلمين بقيادة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار، فقاتلهم، فنصر الله رسوله وهزم الكفار وأخذت نساؤهم سبايا، ومنهن: جويرية (وكان اسمها قبل أن يتزوجها النبي "برة" فغيره النبي إلى "جويرية"؛ لأنه كره أن يقال: خرج النبي من عند برة). تقول عائشة -رضي الله عنها-: إنه لما أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق، ف وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس، الذي عرض عليها أمر افتدائها بمقدار تسع أواق من الذهب، وهو واثق من أنها قادرة على دفعها له؛ لأنها بنت سيد بني المصطلق ومن أغنياء

اليهود. فكاتبتَه بهذا المبلغ؛ حتى يطلق سراحها، ولكنه أبى إلا أن يتسلم أولاً الفداء.

ولما كانت جويرية سبية ليس معها ما تفدى به نفسها - توجهت إلى رسول الله ﷺ، وهو يومئذٍ عندى تسأله في كتابتها، ولما أذن لها الرسول بالدخول - قالت: يا رسول الله، أنا برة بنت الحارث - سيّد قومه - وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، فأعِنِّي في كتابتي. فقال لها: "أولك خير من ذلك؟" فقالت: ماهو؟ فقال: "أؤدى عنك كتابك وأتزوجك" قالت: نعم يا رسول الله. فقال: "قد فعلت". فخرج الخبر إلى الناس. فقالوا: أأصهار رسول الله ﷺ يُسرقون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من نساء بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بزواجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على أهلها منها [ابن إسحاق]. وكانت السيدة جويرية - رضي الله عنها - في العشرين من عمرها حين تزوجها النبي ﷺ.

وعاشت جويرية في بيت النبي ﷺ، وامتد عمرها حتى عهد معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -.

وتوفيت - رضي الله عنها - عام ٥٦ للهجرة، وصلى عليها مروان بن الحكم - أمير المدينة، وقد بلغت سبعين سنة، وقيل توفيت سنة ٥٠ للهجرة وعمرها ٦٥ سنة.

وقد روت - رضي الله عنها - بعضاً من أحاديث النبي ﷺ.



سليلة الأنبياء صفية بنت حيي

نصر الله المسلمين على اليهود في خيبر نصراً كبيراً، وكانت هي من بين السبايا، قال لها رسول الله ﷺ: "لم يزل أبوك من أشد اليهودى عداوة حتى قتله الله تعالى.. يا صفية، إن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك". فقالت: يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الزمر: ٧]. وأنا قد هويتُ الإسلام وصدقتُ بك قبل أن تدعونى حيث صرتُ إلى رَحْلِكَ، ومالى في اليهودية أرب، ومالى فيها والد ولا أخ، وخيرتنى الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلى من العتق وأن أرجع إلى قومي. [ابن سعد].

فلما همت صفية أن تتركب البعير ثنى لها النبي ﷺ ركبته لتركب، فأجلت رسول الله ﷺ أن تضع قدمها على فخذه؛ فوضعت ركبته على فخذه فركبت، ثم ركب النبي ﷺ فألقى عليها الحجاب، ثم سارا مع المسلمين حتى إذا كانا على بُعد ستة أميال من خيبر نُزِلَ مع الجيش منزلاً للراحة، فأراد النبي ﷺ أن يُعرس بها فأبت صفية، فغضب النبي ﷺ منها في نفسه، فلما كانا بالصهباء على بُعد ستة عشر ميلاً من خيبر طاعوته، فقال لها: "ما حملك على إياك حين أردت المنزل الأول؟" قالت: يا رسول الله خشيت عليك قرب اليهود. فأكرمها النبي ﷺ على موقفها ذاك وخوفها عليه من اليهود. [ابن سعد].

تقول السيدة صفية -رضي الله عنها-: دخل على رسول الله ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة قولهما: نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها، نحن أزواجه وبنات عمه، فذكرت له ذلك، فقال: "ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا مني؛ وزوجي محمد، وأبي هارون وعمي موسى" [الترمذي].

وتقول: جئت إلى رسول الله ﷺ أزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت معه ساعة، ثم قمت أنصرف، فقام النبي ﷺ معي يودعني، حتى إذا بلغت باب المسجد، عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: "على رسلكما إنها هي صفية بنت حُيَي". فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكبر عليهما، فقال ﷺ: "إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا" [متفق عليه].

ولما كان رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفى فيه، قالت السيدة صفية -رضي الله عنها-: والله يا نبي الله! لوددت أن الذي بك بي. فغمزها أزواجه، فأبصرهن رسول الله ﷺ فقال: "مضمضن". قلن: من أي شيء؟ قال: "من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة" [ابن سعد].

وكانت -رضي الله عنها- سخية كريمة؛ فقد أهدت إلى السيدة فاطمة الزهراء وبعض أمهات المؤمنين حلقات من ذهب، وتصدقته بثمر دارها قبل وفاتها.

ويروى أن جارية عندها أتت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقالت له: إن صفية تحب السب وتصل اليهود، فبعث إليها فسألها عن ذلك، فقالت: أما

السبت فإني لم أحبه فقد أبدلني الله خيراً منه وهو الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً لذلك أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت الجارية: الشيطان. فقالت لها السيدة صفية: اذهبي فأنت حرة. [ابن عبد البر]

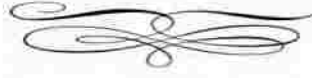
هذه هي أم المؤمنين السيدة: صفية بنت حُيى بن أخطب من ذرية نبي الله هارون. كانت أمها: برة بنت سَمَوَال من بني قريظة، تزوجت النبي ﷺ وهي في السابعة عشر من عمرها؛ إلا أنها رغم صغر سنها؛ تزوجت قبل ذلك مرتين؛ الأولى من سلام بن مشكم القرظي فارس قومها وشاعرهم، والثانية من كنانة بن الربيع صاحب حصن القوص؛ أقوى حصن من حصون خيبر. وتحكى صفية أنها لما تزوجت النبي ﷺ رأى بوجهها أثر خُضرة قريباً من عينها، فقال لها النبي ﷺ: "ما هذا؟".

قالت: يا رسول الله. رأيت في المنام كأن قمرًا أقبل من يثرب حتى وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة فضرب وجهي ولطمني لطمًا شديدًا، وقال: أتحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة (يقصد رسول الله ﷺ). [ابن سعد].

وقد وقفت السيدة صفية بجانب الحق حين تعرض أمير المؤمنين عثمان بن عفان للحصار في منزله؛ فوضعت خشبًا من منزلها إلى منزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام له.

توفيت - رضي الله عنها - في رمضان سنة ٥٠ من الهجرة - في خلافة معاوية بن أبي سفيان - ودفنت بالبقيع بجوار أمهات المؤمنين، رضوان الله عليهن أجمعين.

أم المؤمنين التقية أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان



زارها أبوها، وهي في المدينة، فأبعدت عنه فراش النبي ﷺ، فقال لها: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بى عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس عليه.

قال: يا بنية لقد أصابك بعدى شر. قالت: لا، بل هداني الله للإسلام، وأنت يا أبة سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر؟!

إنها أم المؤمنين أم حبيبة "رملة بنت أبي سفيان" ذات الحسب والنسب والمكانة؛ فأبوها هو "أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية" وأمها "صفية بنت أبي العاص"، وأخوها "معاوية بن أبي سفيان" وقد تزوجها النبي ﷺ فكانت سبباً للمودة بين النبي ﷺ وآل أبي سفيان. وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً﴾ [المتحنة: ٧]. وعوضاً عن صبرها وإيمانها الكبير بالله تعالى.

كانت زوجة لعبيد الله بن جحش، وكان قد تنصر في الجاهلية، ورفض عبادة الأصنام، فلما جاء الإسلام، أسرع هو وزوجته إلى الدخول فيه، لكنها

أمام جبروت قريش وقسوتها على الذين آمنوا، اضطروا إلى الفرار من مكة إلى الحبشة، وهناك أنجبا ابنتهما حبيبة، وبها كانت تُكنَّى، فيقال لها: أم حبيبة.

وفي الحبشة، ارتد عبيد الله بن جحش عن الإسلام واعتنق النصرانية، وحاولت أم حبيبة وجميع من هاجروا إلى الحبشة إثنائه عن عزمه، فلم يفلحوا.

وتقص السيدة أم حبيبة تلك الواقعة، فنقول: رأيت في النوم عبيد الله زوجي في أسوأ صورة وأشوهها، ففزعتُ وقلت: تغيرتُ والله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة، إنني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دنتُ بها ثم دخلت في دين محمد، وقد رجعتُ. فأخبرتهُ بالرؤيا فلم يحفل (يهتم) بها، وأكب على الخمر حتى مات.

وقد حاول عبيد الله بن جحش أن يجر امرأته أم حبيبة إلى النصرانية، لكنها - رضوان الله عليها - أبت عليه ذلك، واستمسكت بعقيدها وظلت على دينها.. فنجأها الله بصبرها على دينها، وأبدلها عن زوجها زوجاً خيراً منه وهو رسول الله ﷺ.

دخلت أبرهة خادمة النجاشي ملك الحبشة عليها، وقالت: يا أم حبيبة إن الملك (تقصد النجاشي) يقول لك إن رسول الله كتب إليه ليزوجك منه ﷺ. قالت أم حبيبة: بَشَّرَكِ الله بخير يا أبرهة، خذى هذه مني هدية. وأعطتها سوارين من فضة وخلخالين.

فأرسلت أم حبيبة إلى خالد بن سعيد بن العاص ابن عمها لتوكله في أمر زواجها من رسول الله ﷺ.

ولما دنا الليل أمر النجاشي "جعفر بن أبي طالب" ومن هناك من المسلمين فحضرُوا فخطب النجاشي، فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام. أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان فأجابت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقته أربعمائة دينار. ثم سكب النجاشي الدنانير بين يدي القوم.

وتكلم "خالد بن سعيد" وقال: "الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد: أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة فبارك الله لرسول الله. ثم دفع خالد الدنانير إلى أم حبيبة فقبضتها. ثم أرادوا الخروج لكن النجاشي استوقفهم وقال: "اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج". ودعا بطعام فأكل الحاضرون ثم تفرقوا.

تقول أم حبيبة: فلما وصل إلى المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: يا أبرهة! إنني كنت أعطيتك ما أعطيت يومئذ ولا مال عندي بيدي. فهذه خمسون مثقالا فخذها واستعيني بها. فأبت أبرهة، وأخرجت حُققا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته علي، وقالت: عزم على الملك أن لا آخذ منك شيئا وأن التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله - عز وجل -.

وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر. فلما كان الغد جاءتني به. فقدمت بذلك على رسول الله ﷺ فكان يراه على وعندي فلا ينكره. ثم قالت أبرهة: يا أم حبيبة حاجتي إليك أن تقرئي على رسول الله ﷺ السلام مني وتعلميه أني قد اتبعت دينه. ثم لطفت بي وكانت هي التي جهّزني. وكانت كلما دخلت على تقول: لا تنسى حاجتي إليك.

فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة، فتبسم وأقرأته منها السلام، فقال: "وعليها السلام ورحمة الله وبركاته" [ابن سعد].

وفي ليلة الزفاف أقام عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وليمة في عرس النبي ﷺ وأم حبيبة -وهي ابنة عمه عثمان: صفية بنت أبي العاص- هذه الوليمة كانت غير تلك التي أقامها النجاشي في الحبشة عند عقد النكاح.

ولما بلغ أبا سفيان بن حرب خبر زواج النبي ﷺ من ابنته قال: ذلك الفحل لا يقرع أنفه (أي الرجل الصالح الذي لا يُرد نكاحه). وقد أحببت أم حبيبة رسول الله ﷺ حباً شديداً، وآثرت محبته على كل محبة أخرى، حتى ولو كانت محبتها لأبيها أو أبنائها أو إخوانها أو عشيرتها.

وكانت أم حبيبة -رضي الله عنها- تحرص دائماً على مراقبة الله - عز وجل - وابتغاء مرضاته، فقد روى عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: دعنتني أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يحدث بيننا ما يكون من الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك كله

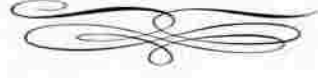
وتجاوز وحلّك من ذلك كله. فقالت: سررتني سرّك الله، وأرسلت إلى أم سلمة - رضي الله عنها - فقالت لها مثل ذلك.

هذا وقد أسلم أبوها أبو سفيان في فتح مكة، وأعطى رسول الله ﷺ الأمان لمن دخل داره.. ففرحت أم حبيبة بإسلام أبيها فرحة كبيرة، وامتد بأم حبيبة العمر حتى عهد أخيها معاوية بن أبي سفيان وتوفيت في سنة أربع وأربعين للهجرة ف رضي الله عنها وأرضاها.

وروت - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ خمسة وستين حديثاً، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين -.



صاحبة الأمانة ميمونة بنت الحارث



كانت آخر من تزوج الرسول ﷺ، وعرفت بالعبادة واشتهرت بالزهد، قالت عنها أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها-: "إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم" [الحاكم وابن سعد].

جاهدت في سبيل الله واشتركت في معركة تبوك تنقل إلى المجاهدين الماء والزاد، وتسعف الجرحى، وتداوى المرضى، وتضمد جراحهم، وقد أصابها يومئذ سهم من سهام الكفار، لكن عناية الله حفظتها.

إنها أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية، إحدى الأخوات الأربع اللاتي سماهن نبي الله ﷺ الأخوات المؤمنات، وهن: أم الفضل زوج العباس عم النبي ﷺ، وأسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ. وكانت أمهن هند بنت عوف أكرم عجوز في الأرض أصهاراً، فقد تزوج النبي ﷺ ابنتها: زينب بنت خزيمة، وميمونة بنت الحارث.

وقد تزوجت السيدة ميمونة -رضي الله عنها- مرتين قبل زواجها بالنبي ﷺ، فقد تزوجها مسعود بن عمرو بن عمر الثقفي، فلما توفي تزوجها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس، ولما توفي كانت زوجاً لرسول الله ﷺ.

وكانت السيدة ميمونة -رضي الله عنها- تعرف باسم "برّة" فساها النبي ﷺ ميمونة، لأنه تزوجها في يوم مبارك -يوم عمرة القضاء-، وكان عمرها حينئذ ستاً وعشرين سنة. [الحاكم وابن سعد].

وكانت -رضي الله عنها- مؤمنة تحب الله ورسوله، وتتمنى أن تنال شرف الزواج برسول الله ﷺ، وتكون أمّاً للمؤمنين.

وفي السنة السابعة للهجرة -وبعد صلح الحديبية- كانت عمرة القضاء، فقد جاء النبي ومعه المسلمون لأداء العمرة في العام السابق فمنعهم المشركون، فوقعوا صلحاً، على أن يعودوا لأداء العمرة في العام المقبل، وأن تكون مدة العمرة ثلاثة أيام، ولما جاءوا لأداء العمرة -في السنة السابعة من الهجرة المباركة- أخذت ميمونة تحدث شقيقتها أم الفضل -رضي الله عنها- عن أمنيتهما في أن تكون زوجاً للنبي وأمّاً للمؤمنين، فاستبشرت أم الفضل خيراً وحدثت زوجها العباس عم النبي ﷺ بذلك، فذكرها العباس للنبي ﷺ، فوافق على زواجه منها، فكان ذلك إغزازاً وتقديراً وشرفاً لها، وتعويضاً لها عن فقد عائلتها، فأصدقها النبي ﷺ أربعمئة درهم، وكان قد بعث ابن عمه جعفرًا -زوج أختها أسماء- يخطبها، فلما جاءها الخاطب بالبشرى -وكانت على بعير- قالت: البعير وما عليه لرسول الله، وجعلت العباس وليها في أمر الزواج.

وفي رواية أن ميمونة هي التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَمْرَأةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

ولما قاربت مدة العمرة التي اتفقوا عليها - الأيام الثلاثة - طلب النبي ﷺ من مشركى مكة أن يمهلوه وقتًا حتى يتم الزواج بميمونة، فقال لهم: "ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعنا لكم طعامًا فحضرتموه" [ابن سعد وابن عبد البر]. فرفضوا، ومع إيمان الرسول ﷺ بنصر الله إلا أنه أبى إلا أن يفى بوعده معهم، وخرج ﷺ حتى اقترب من مكان يسمى سرف يبعد عن مكة بعشرة أميال، فأتى زواجه من ميمونة، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة سبع من الهجرة.

عاشت ميمونة - بعد ذلك - مع النبي ﷺ تحيا بين جنبات القرآن، وروت - رضي الله عنها - ثلاثة عشر حديثًا.

ولما حانت منيتها في عام الحرة سنة ثلاث وستين، وكانت بمكة، وليس عندها أحد من بني أخيها، قالت: أخرجوني من مكة، فإني لا أموت بها، إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة فحملوها حتى أتوا بها (سرف) - عند الشجرة التي بني بها رسول الله ﷺ فتوفيت هناك، وعمرها حينئذ ٨١ سنة، وحضر جنازتها ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره من الصحابة.



أم إبراهيم المصرية مارية القبطية



مؤمنة من أهل مصر، ارتبط اسمها بالسيدة هاجر، زوج خليل الله إبراهيم -عليه السلام-، تزوجت من نبي، وأنجبت له ولدًا، وقدمت إلى بلاد الحجاز؛ لتسكن يثرب. وقد بيّن النبي ﷺ أن له بمصر رحمًا؛ وأوصى أصحابه بالإحسان إلى أهلها عند فتحها، فقال ﷺ: "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا" (أى صهرًا) [مسلم].

إنها مارية بنت شمعون، أهداها المقوقس -عظيم القبط في مصر- للنبي ومعها أختها سيرين، وعبد خصي يُدعى مأبور، وألف مثقال ذهب، وعشرون ثوبًا لينًا من نسيج مصر، وبغلة شهباء تُسمى دلدل، وبعض من غسل، وبعض المسك، وبعض أعواد البخور. وقد حملها إلى النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رسول النبي ﷺ إلى المقوقس. وقد عرض حاطب الإسلام على مارية فأسلمت.

وُلدت مارية بقرية تدعى حفن تقع على شرق النيل في صعيد مصر، وقضت فيها طفولتها، فلما شبت انتقلت مع أختها سيرين إلى قصر المقوقس بالإسكندرية.

فلما وصلت هدية المقوقس إلى نبي الله محمد ﷺ أنزل مارية وأختها سيرين على أم سليم الغميصاء بنت ملحان، ثم وهب سيرين إلى شاعره حسان بن ثابت، واحتفظ لنفسه بالسيدة مارية -رضي الله عنها-. أكرمها النبي ﷺ، ونزلت من قلبه منزلة عظيمة، وكانت -رضي الله عنها- جميلة، وأنزلها أول ما قدم بها في بيت لحرثة بن النعمان الأنصاري، فكانت بجوار السيدة عائشة، وكان النبي ﷺ يقضي معظم الليل والنهار عندها، فحزنت لذلك السيدة عائشة، وغارت عليها فحولها النبي ﷺ إلى العالية بضواحي المدينة وكان يذهب إليها هناك، وبعد سنة تقريباً أنجبت مارية للنبي ابنه إبراهيم في ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة. -ويقال: إن النبي بعدها أعتقها وتزوجها- وقد فرح النبي ﷺ بابنه فرحاً كبيراً؛ وسماه في اليوم السابع إبراهيم، وحلق شعره وتصدق بوزنه فضة، وعَقَّ عنه بكبش.

مرض "إبراهيم" ابن رسول الله ﷺ، وخطفه الموت من أبويه في ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة بعد أن عاش في حجرهما سبعة عشر شهراً، فوضعه النبي بين يديه وذرفت عيناه عليه، وقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون" [متفق عليه]. ويروى أن مارية وأختها سيرين كانتا تبكيان على إبراهيم.

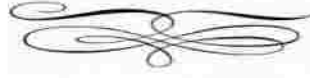
وتوفي النبي ﷺ بعد وفاة ابنه إبراهيم بسنة واحدة، ولم تعمّر السيدة مارية -رضي الله عنها- بعد وفاة رسول الله ﷺ طويلاً؛ حيث توفيت -رضي الله عنها- سنة ست عشرة من الهجرة، وصلى عليها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ودفنت بالبقيع بجانب أمهات المؤمنين.



وبعد فتح مصر سنة عشرين من الهجرة اهتم الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بالبحث عن القرية التي ولدت بها السيدة مارية، وبنى بها مسجدًا، وتعرف الآن ببلدة الشيخ عبادة.



صاحبة القلادة زينب بنت النبي



رجع أبو العاص بن الربيع من إحدى رحلاته إلى الشام، فوجد أخبار الدين الجديد تملأ جنبات مكة، فأسرع إلى بيته، فبادرته زوجته يحدوها الأمل قائلة: الإسلام يا أبا العاص. وهنا يلف الصمت أبا العاص ويشرد ذهنه بعيداً. فقد خاف أن يقول عنه القوم: فارق دين آبائه إرضاءً لزوجته، ورغم أنه يحب النبي ﷺ، ويجب زوجه إلا أنه كره أن يخذل قومه، ويكفر بأهله، وظل متمسكاً بوثنيته، وهنا اغرورقت عينا الزوجة المخلصة بالدموع، لكن الأمل ظل حياً في نفسها عسى الله أن يهدي زوجها.

إنها السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ، وأمها السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- ولدت قبل بعثة والدها ﷺ بعشر سنوات. وكانت أول أولاده من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، وتزوجت من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع فأنجبت له علياً وأمame، فمات على وهو صغير، وبقيت أمame فتزوجها الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

وفي ذلك الحين بدأت ملحمة الصراع بين المسلمين وكفار قريش، وهاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وهاجرت معه رقية وفاطمة وأم كلثوم، وبقيت زينب وحيدة في مكة بجوار زوجها الذي ظل متمسكاً بوثنيته، ثم تطورت الأحداث فخرج المسلمون لاسترداد حقهم الذي تركوه بمكة

فتعرّضوا لقافلة أبي سفيان، فخرجت قريش برجالها، وبدأت الحرب بين الفريقين، وكانت غزوة بدر الكبرى.

وانتصر المسلمون وانهزم الكفار والمشركون. فوقع أبو العاص أسيرًا عند المسلمين، فبعثت قريش لتفديه، وأرسلت "زينب" بأخي زوجها "عمرو بن الربيع" وأعطته قلادتها التي أهدتها لها أمها "خديجة" يوم زفافها، فلما وصل عمرو ومعه تلك القلادة التي أرسلتها لفداء زوجها الأسير، ورأى الصحابة القلادة أطرقوا مأخوذين بجلال الموقف، وساد الصمت الحزين برهة، فقطعه النبي ﷺ والدموع حبيسة عينيه، وقال لهم في رقة رقت لها أفئدة المسلمين: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا". قالوا: نعم يارسول الله. فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها. [أبو داود وأحمد والحاكم].

وأمر النبي ﷺ أبا العاص أن يترك زينب، وأن يرسلها إليه في المدينة، ففعل رغم حبه الشديد لها.

رجع أبو العاص وأرسل أخاه كنانة؛ ليقود بعير زينب وهي في طريقها إلى المدينة. لكن قريشًا تصدّت لهما فأصاب هبار بن الأسود الأسدى بعيرها برمح، فوقع "زينب" على صخرة جعلتها تنزف دمًا وأسقطت على إثرها جنينها. فهذّد كنانة بن الربيع قريشًا بالقتل بسهامه، إن لم يرجعوا ويتركوا زينب فرجع الكفار عنهما.

ورأى كنانة ألم زينب فحملها إلى بيت أخيه. وظلت هناك حتى بدأت تستعيد قواها بجانب أبي العاص زوجها الذي لا يكاد يفارقها لحظة...

فخرج بها كنانة مرة أخرى، حتى سلمها إلى زيد ابن حارثة، الذي صاحبها حتى أتت بيت أبيها ﷺ بالمدينة، فاستقبلها المسلمون استقبالا طيبا حافلا.

ومرت الأيام، ووقع "أبو العاص" مرة أخرى في الأسر، حين هاجم المسلمون قافلته العائدة من الشام، وبعد صلاة الفجر دخلت زينب إلى أبيها، تطلب منه أن تجير "أبا العاص"، فخرج النبي ﷺ على المسلمين قائلا: "أيها الناس هل سمعتم ما سمعتُ؟" قالوا: نعم. قال: "فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أديانهم، وقد أجرنا من أجارت" [الحاكم وابن سعد وابن هشام].

وأمر رسول الله ﷺ زينب أن لا يقربها زوجها أبو العاص، لأنها لا تحل له مادام مشركا.

ورحل أبو العاص بتجارته عائداً إلى مكة وأعاد لكل ذي حق حقه، ثم أعلن إسلامه على الملأ ورجع مهاجراً في سبيل الله إلى المدينة، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة. فالتأم شمل زينب بزوجها مرة أخرى.

لكن سرعان ما نزلت مصيبة الموت بزينب فماتت متأثرة بالآلم الذي أصابها بالنزف عند هجرتها إلى المدينة، وكانت وفاتها -رضي الله عنها- في السنة الثامنة للهجرة، فبكاه زوجها أبو العاص بكاءً مراً. وحزن عليها الرسول ﷺ حزناً كبيراً، ثم ودعها إلى مثواها الأخير.

وعاد زوجها أبو العاص إلى ولديها: علي وأمامة دافع العين يقبل رأسيهما وفاءً للزوجته الحبيبة "زينب" -رضي الله عنها-.

صاحبة الهجرتين رقية بنت النبي



كان نزول هذه الآيات: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وَأَمْرَئَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ [سورة المسد]؛ على رسول الله ﷺ وعيدًا ورحمةً، وعيد لأبي لهب وزوجته، ورحمة لرقية وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ؛ إذ نجاهما الله من العيش في بيت الشرك والكفر .

ولدت السيدة رقية -رضي الله عنها- قبل الهجرة بعشرين عامًا، ونشأت في أحضان أبيها رسول الله ﷺ، وأمها السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-. وكانت رقية -رضي الله عنها- ملازمة لأختها أم كلثوم لتقارب السن بينهما، ولم يفترقا حتى خطب عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب) السيدة رقية لابنه عتبة، كما خطب السيدة أم كلثوم لابنه الآخر عتيبة. فلما بُعث رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل: تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ.

قال أبو لهب لابنه عتبة: رأسى من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته. ففارقها ولم يكن قد دخل بها، وأسلمت رقية -رضي الله عنها- حين أسلمت أمها السيدة خديجة، وبايعت النبي ﷺ، ثم تزوجها عثمان بن عفان بمكة فكان زواجها سعيدًا موفقًا متكافئًا.

ثم هاجرت رقية مع زوجها عثمان إلى أرض الحبشة، فكان عثمان أول من هاجر إليها، واستقر بهما المقام بالحبشة، وسارت بهما الأيام هادئة، حتى أشيع أن أهل مكة قد كفوا أيديهم عن تعذيب المسلمين والتنكيل بهم، فعادت السيدة رقية مع زوجها عثمان - رضي الله عنهما -، وبعض الصحابة إلى مكة، ولكنهم فوجئوا بأن أهل مكة مازالوا على عنادهم يسومون المستضعفين من المسلمين سوء العذاب، فانتظروا قدوم الليل، ثم دخلوا مكة متفرقين.

وعندما عادت السيدة رقية إلى مكة كانت أمها خديجة قد لقيت ربها، فحزنت عليها أشد الحزن، ثم ما لبثت أن هاجرت إلى المدينة بعد أن هاجر زوجها عثمان من قبل.

ولدت رقية من عثمان ابنها عبد الله وبه كان يكنى، ولما بلغ ست سنوات نَقَرَهُ ديكٌ في وجهه، فطمر وجهه فمات، وكانت رقية قد أسقطت قبله سقطاً وقت هجرتها الأولى، ولم تلد بعد ذلك.

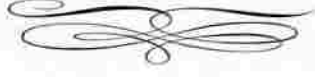
وتجهز المسلمون لأول معركة مع الكفر في بدر، وتمنى عثمان أن يكون مع المجاهدين، ولكن زوجته كانت تعالج سكرات الموت بعد مرض شديد - قيل إنه الحصبة - إثر حزنها الشديد على وفاة ولدها، ولذلك أذن الرسول ﷺ لعثمان بالتخلف ليكون إلى جوارها يطببها، ولكنها ما لبثت أن لبث نداء ربها في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وكانت أولى بنات النبي ﷺ موتاً، وفي ذلك يقول ابن عباس: لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: "الحق بسلفنا عثمان بن مظعون" [ابن سعد]. فبكت النساء عليها، فجعل عمر بن الخطاب يضربهن بسوطه، فأخذ النبي ﷺ بيده، وقال:

"دعهن يبكين" [ابن سعد]. ثم قال: "ابكين وإياكن ونعيق الشيطان، فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان" [ابن سعد]. فقعدت فاطمة الزهراء على شفير القبر بجوار رسول الله ﷺ، وهي تبكي ورسول الله ﷺ يمسح الدمع عن عينيها بطرف ثوبه وعيناه تدمعان [ابن سعد].

ودفنت - رضي الله عنها - بالبقيع ، رحمها الله .



ثانية النورين أم كلثوم بنت النبي



"يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة" [ابن سعد].

فمن تكون أفضل من حفصة أم المؤمنين؟

جاء عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إلى بيت النبي ﷺ ليلتمس المواساة في زوجته رقية - رضي الله عنها - بعد وفاتها، وجاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يشكو للنبي ﷺ أبا بكر، وعثمان حين عرض عليهما ابنته حفصة، بعد أن مات زوجها خنيس بن حذافة السهمي - رضي الله عنه - فقال له النبي ﷺ: "يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة". وقد صدقت بشراه ﷺ حيث تزوج هو من حفصة، وتزوج عثمان من أم كلثوم بنت النبي ﷺ.

ودخلت أم عياش - خادمة النبي ﷺ إلى السيدة أم كلثوم تدعوها للقاء النبي ﷺ لأخذ رأيها في أمر الزواج من عثمان؛ فلما أطرقت صامته حياءً من النبي ﷺ، عرف أنها ترى ما يراه؛ فقال النبي ﷺ لعثمان: "أزوجك أم كلثوم أخت رقية، ولو كنّ عشرًا لزوجتكهن" [ابن سعد]. فقال عثمان بن عفان بذلك الشرف لقب ذى النورين؛ لزوجاه من ابنتي رسول الله ﷺ، فكلتاها

نور بحق، وظلت أم كلثوم في بيت عثمان زوجة له لمدة ست سنوات لا يفارقها طيف أختها رقية.

ولدت السيدة أم كلثوم قبل بعثة النبي ﷺ، وشهدت ازدهار الإسلام وانتصاره على الكفر والشرك، وجاهدت مع باقى أسرتها، فشاركت أباهما ﷺ وأمها خديجة جهادهما، وعانت معهما وطأة الحصار الذي فرضه الكفار والمشركون على المسلمين في شُعب أبي طالب، ثم هاجرت إلى المدينة المنورة مع أختها فاطمة بعد أن أرسل النبي ﷺ إليهن زيد بن حارثة ليصحبهن.

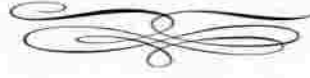
وشهدت فرحة انتصار المسلمين في بدر، وقد تشابهت ظروف أم كلثوم وأختها رقية -رضي الله عنهما- حيث نشأتا سوياً في بيت النبوة، وخطبا لشقيقين هما عتبة وعتيبة من أبناء أبي لهب وزوجته أم جميل، ولكن الله أنقذهما وأكرمهما، فلم يبنيا بهما، وحرّم ولداً أبى لهب من شرف زواجهما.

وفي السنة التاسعة من الهجرة، توفيت أم كلثوم دون أن تنجب؛ فأرعى النبي ﷺ رأسها الشريف بجانب ما بقى من رفات أختها رقية في قبر واحد، مودعاً إياها بدموعه.



الريحانة

فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ



كانت حبيبة النبي ﷺ وريحانته وحافظة أسرارهِ ؛ فقد جلست بجواره ﷺ يوماً فأسرَّ إليها نبأ جعلها تبكى وتبتسم، فسألتها السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن ذلك. فأجابتها: ما كان لي لأفشى سر رسول الله ﷺ. فلما مات النبي ﷺ سألتها فقالت: إن أبي قال لي في أول مرة: "إن جبريل كان يعارضني القرآن الكريم في كل سنة مرة واحدة، وإنه عارضني إياه مرتين هذا العام، وما أراه إلا قد حضر أجلي". فبكيت، ثم أردف بقوله: "وإنك أول أهلي لحوقاً بي، نعم السلف أنا لك" فتبسمت. [متفق عليه].

إنها السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ التي قالت فيها أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها-: "ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً ومشياً برسول الله من فاطمة" [الترمذي].

وأخبر النبي ﷺ أنها سيدة نساء أهل الجنة [الترمذي والحاكم]. وأخبر عنها النبي ﷺ أنها واحدة من خير نساء العالمين. فقال: "خير نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد" [ابن حجر في الإصابة]. وكان يقول عنها: "فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما أذاها، ويريني ما رابها" [متفق عليه].

سُميت -رضي الله عنها- فاطمة؛ لأن الله تعالى قد فطمها وحفظها من النار، ولقبها النبي ﷺ الزهراء؛ فكانت ريجانته وأحب بناته إليه؛ لأنها أصغرهن وحافظة نسله ﷺ. وكان إذا دخل عليها النبي قامت له وقبلت يده وأجلسته مكانها، وإذا دخلت عليه ﷺ أخذ بيدها وأجلسها بجواره، ورحب بها أيما ترحيب. وكان إذا قدم من غزو أو سفر يبدأ بالمسجد فيصلي، ثم يزور ابنته فاطمة الزهراء ثم يأتي أزواجه -رضوان الله عليهن-.

ولدت الزَّهراء قبل بعثة النبي ﷺ وعمره حينئذ خمس وثلاثون سنة، وذلك في يوم التحكيم عند إعادة بناء الكعبة، يوم أخذ النبي ﷺ بحكمته وفطنته نار الحرب بين قبائل قريش المتنازعة حول من يضع الحجر الأسود المقدس في مكانه؛ فقد بسط رداءه، ووضع فيه ذلك الحجر وطلب من زعماء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف الرداء ثم وضعه بيده الشريفة في مكانه.

وقد شهدت السيدة فاطمة منذ طفولتها أحداثًا جسامًا كثيرة، فقد كان النبي ﷺ يصلي يومًا بالكعبة وبعض سفهاء قريش جالسون، فانبعث شقى من أشقياء القوم فأتى بأحشاء جزور فألقاها على رسول الله ﷺ وهو ساجد، فلم يزل ساجدًا حتى جاءت فاطمة فأزالت عنه الأذى. كما كانت أم جميل - امرأة أبي لهب - تلقى الأقدار أمام بيته فيزيلها في هدوء ومعه فاطمة تحاول أن تعيد إلى المكان نظافته وطهارته.

وقاست فاطمة -رضي الله عنها- عذاب الحصار الشديد الذي فرضه الكفار على المسلمين وبنى هاشم في شعب أبي طالب، وعانت من فراق أمها التي تركتها تعاني ألم الوحدة وحنين الذكريات بعد وفاتها.

وهاجرت الزهراء إلى المدينة وهي في الثامنة عشرة من عمرها وكانت معها أم كلثوم، وكان ذلك في السنة الأولى من الهجرة. وفي السنة الثانية تقدم كبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- للنبي ﷺ يطلبون الزواج من السيدة فاطمة، لكن الرسول ﷺ اعتذر لهم في رفق، ثم طلبها على بن أبي طالب -كرم الله وجهه- فوافق النبي ﷺ.

وقد قَدَّمَ عَلَى مَهْرًا للسيدة فاطمة قدره أربعمئة وسبعون درهمًا، وكانت ثمنًا لدرع أهداها له الرسول ﷺ يوم بدر، واشتراها منه "عثمان بن عفان" -رضي الله عنه- بهذا الثمن، وكان جهازها خييلة، ووسادة من آدم حشوها ليف، ورحاءين، وسقاء، وجرتين.

وفي يوم زواجها قدم النبي ﷺ طبقًا مليئًا بالتمر لأصحابه وضيوفه الكرام، وفي ليلة البناء كان على قد وُقِّقَ إلى استئجار منزل خاص يستقبل فيه عروسه الزهراء بعد تجهيزها، وما كان حشو فراشها ووسائدُها إلا الليف. وبعد صلاة العشاء توجه النبي ﷺ إلى بيت الزوجية الجديد ودعا بقاء فتوضئوا منه ثم دعا النبي ﷺ لهما بقوله: "اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا، وَبَارِكْ لهما فِي نسلهما، فتوضئوا" [ابن سعد].

وبعد عام سعيد مليء بالإيمان رزق الله فاطمة -رضي الله عنها- ابنها الحسن، فاستبشر النبي ﷺ فيه خيرًا، ثم رُزِقت من بعده ابنها الحسين، ثم ولد لهما محسن الذي توفي وهو صغير، ثم من الله على بيت النبوة بمولودتين جميلتين هما السيدة "زينب" والسيدة "أم كلثوم"، بنتا الإمام علي والسيدة فاطمة -رضي الله عنهم جميعًا-.

وكانت السيدة فاطمة، وزوجها علي، وابناها الحسن والحسين - رضي الله عنهم - أعز الناس وأقربهم إلى النبي ﷺ فقد ورد أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. دعا رسول الله عليًا وفاطمة والحسن والحسين وقال: "اللهم هؤلاء أهلي" [مسلم].

وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا" [الترمذي].

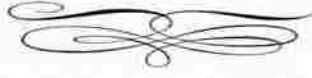
وكانت السيدة فاطمة - رضي الله عنها - تقوم على خدمة زوجها وأولادها، ورعاية البيت، فكان يصيبها التعب والمشقة، وقال عنها زوجها علي بن أبي طالب: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها خادم غيرها، ولما زوجها رسول الله ﷺ أرسل معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف، ورحاءين وسقاء وجرتين، فكانت تجرُّ بالرحاء حتى أثَّرت في يدها، واستثقت بالقربة حتى أثَّرت القربة بنحرها، وكانت تنظف بيتها حتى تغبر ثيابها، وتوقد تحت القدر حتى دنست ثيابها. وكانت السيدة فاطمة - رضي الله عنها - تشكو الضعف، وتشارك زوجها الفقر والتعب نتيجة للعمل الشاق الذي أثَّرت في جسديهما. وعندما جاءت أباها لتطلب منه خادمة تساعد في العمل لم تستطع أن تطلب ذلك استحياء منه، فتولى الإمام علي عنها السؤال وهي مطرقة في استحياء. لكن الرسول ﷺ قال لهما في رفق وهو يقدر حالهما: "ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أوتيتا إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبري أربعًا وثلاثين، وسبحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم" [البخاري].



وبعد ستة أشهر من وفاة الرسول ﷺ انتقلت السيدة فاطمة إلى جوار ربها، ودفنت بالبقيع في ليلة الثلاثاء، الثالث من رمضان، سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكان عمرها ثمانية وعشرين عامًا.



المرضعة حليمة السعدية



أرضعت رسول الله ﷺ، وأتمت رضاعه حتى الفصال، وقد عرف النبي ﷺ لها ذلك الجميل؛ فعن أبي الطفيل قوله: رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة، فجاءته امرأة فبسط لها رداءه، فقلت: من هذه؟ فقالوا: أمه التي أرضعته. [الطبراني].

إنها السيدة حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله السعدية مرضعة النبي ﷺ.

قدمت السيدة حليلة -رضي الله عنها- مكة تلتمس طفلاً رضيعاً، وكانت تلك السنة مقحطة جافة على قبيلتها -قبيلة بني سعد- جعلت نساءها -ومنهن حليلة- يسعين وراء الرزق، فأتين مكة؛ حيث جرت العادة عند أهلها أن يدفعوا بصغارهم الرضع إلى من يكفلهم. وتروى لنا السيدة حليلة قصتها، فتقول: قدمت مكة في نسوة من بني سعد، نلتمس الرضعاء في سنة شهباء (مجربة) على أتان ضعيفة (أنثى الحمار) معي صبي وناقة مسنة. ووالله ما نمنا ليلتنا لشدة بكاء صبينا ذاك من ألم الجوع، ولا أجد في ثديي ما يعينه، ولا في ناقتنا ما يغذيه، فسرنا على ذلك حتى أتينا مكة، وكان الركب قد سبقنا إليها، فذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، حتى أقبل على ثديي بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى روي، وقام زوجي إلى الناقة فوجدها حافلة باللبن؛ فحلب وشرب، ثم شربت حتى ارتوينا، فبتنا

بخير ليلة، فقال لى زوجي: يا حليلة! والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه؟!

كانت حليلة -رضي الله عنها- أمينة على رسول الله ﷺ، حانية عليه، ما فرقت يوماً بينه وبين أولادها من زوجها، وما أحس عندها رسول الله ﷺ شيئاً من هذا.

وكان لها من زوجها الحارث بن عبد العزى أبناء، هم إخوة لرسول الله ﷺ من الرضاعة، وهم عبد الله، وأنيسة، وحذافة (وهى الشياء).

وكان رسول الله ﷺ يصل حليلة، ويهدي إليها، عرفاناً بحقها عليه؛ فقد عاش معها قرابة أربعة أعوام، تربي فيها على الأخلاق العربية، والمروءة، والشهامة، والصدق، والأمانة، ثم ردت إلى أمه السيدة آمنة بنت وهب، وعمره خمس سنوات وشهر واحد.

وقد أحبها النبي ﷺ حباً كبيراً؛ حتى إنه لما أخبرته إحدى النساء بوفاها -بعد فتح مكة- ذرفت عيناه بالدموع عليها.



عمة النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب



كانت - رضي الله عنها - صابرة محتسبة، راضية بقضاء الله، ترى كل مصيبة هينة - مهما عظمت - ما دامت في سبيل الله.

ففي غزوة أحد أقبلت لتتنظر إلى أخيها حمزة الذي استشهد، فلقبها ابنها الزبير بن العوام فقال: أي أمه، رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان في ذلك، لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله. فجاء الزبير فأخبر النبي ﷺ فقال: "خلّ سبيلها". فأتت إلى حمزة، واستغفرت له، ثم أمر النبي ﷺ بدفنه.

وكانت - رضي الله عنها - مقاتلة شجاعة. فلما خرج ﷺ إلى غزوة الخندق، جعل نساءه في بيت لحسان بن ثابت، فجاء أحد اليهود، فرقى فوق الحصن حتى أطل على النساء، فقامت إليه صفية - رضي الله عنها - فضربت رأسه، ثم أخذتها، فألقته على اليهود وهم خارج البيت، فقالوا: قد علمنا أن هذا - أي النبي ﷺ - لم يكن ليترك أهله، ليس معهم أحد يحميهم، فتفرقوا.

إنها صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أمها بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي أخت حمزة لأمه، تزوجها في

الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية، فولدت له ولدًا، ثم تزوجها "العوام بن خويلد" فولدت له الزبير، والسائب، وعبد الكعبة، وأسلمت صفية، وبايعت النبي ﷺ وهاجرت إلى المدينة، وكانت من أوائل المهاجرات إلى المدينة، أسلمت مع ولدها الزبير، وقيل: مع أخيها حمزة.

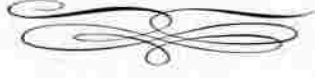
قالت عائشة: لما نزلت ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٤٢]، قام النبي ﷺ فقال: "يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالى ما شئتم" [مسلم، والنسائي، والترمذي، وأحمد].

ولما مات النبي ﷺ رثته صفية بقولها:

توفيت "صفية بنت عبد المطلب" سنة عشرين هجرية في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعندها بضع وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع في فناء دار المغيرة بن شعبة، وقد روت عن الرسول ﷺ بعض الأحاديث، فرضي الله عنها وأرضاها.



المؤازرة أروى بنت عبد المطلب



دخل عليها ابنها طليب بن عمير - قبل إسلامها - فقال: يا أمي تبعي محمدًا وأسلمت لله.

ف قالت له: إن أحق من آزرت وعضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال، لتبعناه ودافعنا عنه.

فقال طليب: فما يمنعك يا أمي من أن تسلمي وتتبعيه، فقد أسلم أخوك حمزة؟ فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن.

فقال طليب: فإني أسألك بالله إلا آتيته، فسلمت عليه وصدقته، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

إنها "أروى بنت عبد المطلب بن هاشم" إحدى عمات النبي ﷺ الست، كانت قبل إسلامها تعضده وتؤازره وتنصره.

قال بعض المؤرخين: إنها أسلمت وهاجرت إلى المدينة، واستدلوا بما روي أن أبا جهل - ومعه عدد من الكفار - اعترضوا النبي ﷺ فأذوه، فعمد طليب بن عمير إلى أبي جهل فضربه ضربة شجه بها، فأخذوه وأوثقوه. فقام دونه أبو لهب حتى خلاه.

ف قيل لأروى: ألا ترين ابنك طليبا قد صير نفسه غرضًا دون محمد؟ فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله، وقد جاء بالحق من عند الله.

فقالوا: أوقد تبعي محمدًا؟ قالت: نعم.

فخرج بعضهم إلى أبي هب فأخبره، فأقبل حتى دخل عليها فقال: عجبًا لك! ولا تبعي محمدًا وتركك دين عبد المطلب! فقالت: قد كان ذلك، فقم دون ابن أخيك واعضده وامنعه، فإن يظهر أمره، فأنت بالخيار أن تدخل معه أو تكون على دينك، وإن يُصَبَّ، كنت قد أعذرت في ابن أخيك.

فقال أبو هب: أولنا طاقة بالعرب قاطبة، جاء بدين مُحدثٍ، ثم انصرف. وظلت أروى مؤازرة النبي ﷺ ناصرة دينه.

قالت ترثي النبي ﷺ:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكُنتَ بنا برًا ولم تَكُ جافيًا

كانت أروى بنت عبد المطلب قد تزوجت عمير بن وهب فولدت له طليبا، ثم تزوجت من بعده كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار فولدت له أروى.

تُوفِّيَتْ - رضي الله عنها - في نحو سنة ١٥ من الهجرة.

المجيرة أم هانئ



قال لها رسول الله ﷺ: "قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت" [متفق عليه].

إنها ابنة عم النبي ﷺ، تربت معه في بيت أبيها أبي طالب، فكانت تُكنى له المودة التامة والحب الكثير، وكانت قبل إسلامها تدفع عنه أذى المشركين، وتنصره في كل تحركاته في سبيل الله، وكان ﷺ يصل فيها رحمه؛ فكان يزورها ويطمئن عليها.

إنها أم هانئ فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابنة عم النبي ﷺ وأخت الإمام علي -رضي الله عنه-، وأمها: فاطمة بنت أسد -رضي الله عنها-.

روى أنه لما عاد رسول الله ﷺ من ثقيف (الطائف)، وكان حزينا لإعراض أهلها عن دين الله، توجه لزيارتها، ثم بات عندها، فكان ما كان من حادثة الإسراء والمعراج، فكانت أم هانئ تحدث بحديث الإسراء والمعراج، حتى قيل: ما ذكر الإسراء والمعراج إلا وذكر معه اسم أم هانئ. قالت أم هانئ -رضي الله عنها-: ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي، نام عندنا في تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أيقظنا رسول الله ﷺ، وقال: يا أم هانئ! لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيته بهذا الوادي، ثم جئتُ بيت المقدس فصليتُ فيه، ثم صليت صلاة

الغداة معكم الآن كما تَرَيْنَ"، وقام ليخرج، فأخذت بطرف رداءه، فقلت له: إني أذكرك الله، أنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقاتلتك، قال: "والله لأحدثنهموه"، وقلت لجارية لي حبشية: ويحك اتبعي رسول الله ﷺ حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا، فذكر لهم دلائل وعلامات على صدق ما يقول. [ابن هشام]. وقد أسلمت أم هانئ يوم فتحت مكة، بينما قرَّ زوجها هبيرة هاربًا، وقال في ذلك شعرًا:

لَعَمْرُكَ مَا لَوَيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جَبْنًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَلَبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لِسِيفِي غَنَاءً إِنْ ضُرِبْتُ وَلَا نِيبِي

فلما علم النبي ﷺ بأمرها وفرار زوجها هاربًا لا يلوي على شيءٍ كارهاً أن يدخل في دين الله، تقدم إليها ليخطبها فقالت: والله إني كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مُصِيبَة (أي عندي صبيان) وأكره أن يؤذوك. فقال ﷺ: "نساء قریش خير نساء ركب الإبل: أحناء على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده" [البخاري]. وفي رواية أخرى أنها قالت: يا رسول الله! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَحَقُّ الزَّوْجِ عَظِيمٌ؛ فَأَخْشَى إِنْ أَقْبَلْتُ عَلَى زَوْجِي أَنْ أَضِيعَ بَعْضَ شَأْنِي وَوَلَدِي، وَإِنْ أَقْبَلْتُ عَلَى وَلَدِي أَنْ أَضِيعَ حَقَّ الزَّوْجِ.

وعن أم هانئ قالت: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره بثوب، فسلمتُ.

فقال: "من هذه؟"

قلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب.

فقال: "مرحباً بأم هانئ".

فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثمان ركعات ملتحمًا في ثوب واحد.

فقلتُ: يا رسول الله، زعم ابن أُمى -تعنى عليًا- أنه قاتل رجلاً قد أجرته:

فلان بن هبيرة.

فقال ﷺ: "قد أجرنا من أجرته يا أم هانئ" [متفق عليه].

وكانت -رضي الله عنها- قبل إسلامها زوجة لهبيرة بن أبي وهب بن عمرو المخزومي، وأنجبت منه: عمرة، وجعدة، وهانئًا، ويوسف، وطالبًا، وعقيلًا، وجمانة. وقد تولى ابنها جعدة بن هبيرة ولاية خراسان في عهد الإمام على -رضي الله عنه-.

وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث، بلغت ستة وأربعين حديثًا.

وتُوفيت أم هانئ -رضي الله عنها- سنة أربعين هجرية، وقيل: سنة خمسين

هجرية.



أم الإيمان فاطمة بنت أسد



لما تُوفيت دخل عليها النبي ﷺ وجلس عند رأسها، وقال: "رحمك الله يا أمي، كنت أُمي، تجوعين وتشبعينني، وتعزّين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبها وتطعمينني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة" ثم أمر أن تغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبهُ رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع قميصه، فألبسها إياه، وكفنها، ولما حُفِرَ قبرها وبلغوا اللحد حفره النبي ﷺ بيده وأخرج ترابه، فلما فرغ، دخل ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: "الله الذي يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسّعه عليها بحق نبيك والأنبياء من قبلي، فإنك أرحم الراحمين". ثم كَبَّرَ عليها أربعاً، وأدخلها اللحد ومعه العباس وأبو بكر الصديق يساعده. [الطبراني].

وعندما سأله الصحابة: ما رأيُناك صنعتَ بأحد ما صنعتَ بهذه، قال: "إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها، وإنما ألبسْتُها قميصي لتُكسى من حُلل الجنة، واضطجعتُ في قبرها لأهُوّنَ عليها عذاب القبر" [الطبراني].

هذه هي منزلة السيدة "فاطمة بنت أسد" زوجة أبي طالب عند رسول الله ﷺ؛ حيث كانت ترعاه رعاية خاصة، فقد كانت تشعر باليُتم الذي يعانيه حتى إنها كانت تفضله على أبنائها.

وقد نشأت السيدة فاطمة في بيت من أشرف بيوت قريش وأعزها، فأبوها هو "أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي"، وأمها "فاطمة بنت قيس" وقد تزوجت "فاطمة بنت أسد" من أبي طالب فولدت له طالبًا وعقيلًا وجعفرًا وعليًا -كرم الله وجهه-، وأم هانيء، وجمانة، وربطة.

وقد تركت معاملتها في نفس النبي ﷺ -وهو طفل- أبلغ الأثر، فقد كانت حميدة الأخلاق، عميقة الإيمان، صافية النية، مما جعلها تترك أثرًا بالغًا -أيضًا- في نفوس أبنائها، وبخاصة الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وظلت فاطمة تمارس دورها بعد وفاة زوجها أبي طالب، فدخلت في الإسلام وهاجرت، وكافحت في سبيل توطيد دعائم الدين الحنيف.

وكان على يقول لها -بعد أن تزوج فاطمة الزهراء بالمدينة-: يا أمي اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء، والذهاب في الحاجة، وتكفيك الداخل: الطحن والعجن. [الطبراني]



أم الحبيب أم أيمن

هي إحدى المهاجرات الأول، كان رسول الله ﷺ يناديها: "يا أمّه"، وكان إذا نظر إليها، يقول: "هذه بقية أهل بيتي" [ابن سعد والحاكم]. وكان النبي ﷺ يزورها دائماً، ويكرمها، ويقول عنها: "أم أيمن أُمي، بعد أُمي". وكانت هي سعيدة بهذا الأمر، وتعيشه كأنه حقيقة، فكانت تحنو عليه حنان الأم على ابنها، وتحشى عليه خشيتها، وتغضب أحياناً عليه كما تغضب الأم، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى أم أيمن، فانطلقت معه، فناولته إناء فيه شراب. قال: فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يُرِده، فجعلت تصخب عليه (تصرخ فيه) وتذمر عليه (تكلمه بحدة وغضب) وما كانت لتفعل ذلك مع رسول الله ﷺ إلا وهو يعلم أنه بمثابة الابن، فهي قد حضنته وربته ﷺ.

هذه أم أيمن - رضي الله عنها - أحاطت رسول الله ﷺ بحبها ورعايتها، وكانت أمّه صغيراً وكبيراً، فأكرمها الله - سبحانه وتعالى - بفضله، وجزاها خيراً على جميلها، وحفظها كما حفظت النبي ﷺ، فتروى لنا قصة هجرتها إلى المدينة، ومدى حماية الله تعالى لها، فتقول: خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة، وأنا ماشية على رجلي، وليس معي زاد، فعطشتُ وكنْتُ صائمة، فأجهدني العطش، فلما غابت الشمس إذا بإناء تعلّق عند رأسي مُدلىّ برشاء (أى حبل) أبيض، فدنا منّي حتى إذا كان بحيث أستمكن منه، تناولته فشربتُ منه، حتى

رَوَيْتُ، فَكَنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ - فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ - أَطُوفُ فِي الشَّمْسِ؛ كَيْ أَعْطِشَ فَمَا عَطِشْتُ بَعْدَهَا. [ابن سعد].

لَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: انْطَلِقْ بِنَا نَزُرْ أُمَّ أَيْمَنَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهَا بَكَتْ. فَقَالَا: مَا يَبْكُكِ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ؟ قَالَتْ: أَبْكِي أَنْ وَحَى السَّمَاءُ انْقَطَعَ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلْتُ تَبْكِي وَيَبْكِيَانِ مَعَهَا. [مسلم وابن ماجه].

إِنَّمَا أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَتْ تَعْرِفُ بِالْحَبِشِيَّةِ، وَهِيَ وَصِيفَةُ (خَادِمَةٌ) عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَالِدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ صَارَتْ لَزَوْجَتِهِ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ أُمُّ النَّبِيِّ ﷺ، فَظَلَّتْ تُكِنُّ لَهَا كُلَّ إِخْلَاصٍ وَمَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ، وَسَافَرَتْ مَعَهَا وَمَعَ ابْنِهَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى يَثْرِبَ لَزِيَارَةِ قَبْرِ زَوْجِهَا عَبْدَ اللَّهِ، وَلَمَّا عَادُوا مَرَضَتْ أُمُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَاتَتْ فِي الطَّرِيقِ، فَدَفَنْتُهَا أُمُّ أَيْمَنَ فِي مَكَانٍ يَعْرِفُ بِالْأَبْوَاءِ، وَسَطَ الصَّحْرَاءِ فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَحَمَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، وَظَلْتُ تَخْدُمُهُ وَتَسْهَرُ عَلَى رَاحَتِهِ؛ حَتَّى تَزَوَّجَ ﷺ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، فَانْتَقَلَتْ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهَا، وَكَانَتْ مَوْضِعَ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ مِنْهَا.

وَعِنْدَمَا تَقْدُمُ إِلَيْهَا عُبَيْدُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ لِلزَّوْاجِ مِنْهَا تَكْفَلْتُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ بِتَجْهِيزِهَا، وَبَعْدَ عَامٍ مِنَ الزَّوْاجِ أَنْجَبَتْ مِنْهُ ابْنَهَا (أَيْمَنَ) الَّذِي تُكْنِي بِهِ دَائِمًا) وَقَدْ اسْتَشْهَدَ أَيْمَنُ فِي مَوْقِعَةِ خَيْبَرَ، وَلَمَّا تَوَفَّى عُبَيْدُ بْنُ زَيْدٍ - زَوْجُ أُمِّ أَيْمَنَ - تَقْدُمُ "زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ" لِلزَّوْاجِ بِالسَّيِّدَةِ أُمِّ أَيْمَنَ، وَزَادَ مِنْ

رغبته فيها قول الرسول ﷺ: "من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن" [ابن سعد]، فولدت له "أسامة بن زيد" حب رسول الله ﷺ.

وهي إحدى المؤمنات المجاهدات اللاتي شاركن في المعارك الإسلامية مع رسول الله ﷺ، فقد شهدت أحدًا، وكانت تسقى المسلمين، وتداوى الجرحى، وشهدت غزوة خيبر.

وروت أم أيمن -رضي الله عنها- بعضًا من أحاديث رسول الله ﷺ.
وتوفيت -رضي الله عنها- في آخر خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ودفنت بالمدينة بعد أن تجاوزت التسعين من عمرها.

أول شهيدة في الإسلام سمية بنت خياط



ما كادت تسمع بدعوة النبي ﷺ حتى دخلت في دين الله تعالى، فلما راح المشركون يعذبون من آمن، فصَبُّوا عليها من عذابهم قسطًا كبيرًا عساها تترد وترجع، فأبت إلا الإسلام، فقتلوها، فكانت أول شهيدة في الإسلام. إنها الصحابية الجليلة، سُمَيَّة بنتُ خَيَّاط، زوجة ياسر، وأم عمار -رضي الله عنهم-.

كانت مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفًا لأبي حذيفة، فزوجه من سمية، فولدت له عَمَّارًا، ولما ظهرت في مكة دعوة الإسلام سبقت إليها سمية وابنها عمار، ثم لحق بهما زوجها. قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة، سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وبلال، وخبَّاب، وصُهَيْب، وعمَّار، وسُمَيَّة.

وأخذ أهل مكة يعذبون من أسلم. فقام آل بني المغيرة بتعذيب سمية؛ لترجع عن دينها، ولكن هيهات هيهات، فالإيمان قد استقر في قلبها، فلا يزحزحه أي تعذيب أو اضطهاد.

وكان صلى الله عليه وسلم يمر على المعذبين من المسلمين يوصيهم بالصبر، وكلما مر على سمية وزوجها ياسر، وابنها عمار، وهم يعذبون العذاب الشديد يقول: "صبراً آل ياسر، إن موعدكم الجنة" [الطبراني].

وإن كان صبر الرجال المسلمين على العذاب الشديد عجباً، فأعجب منه أن تصبر عليه امرأة، وصبرها على التمسك بدينها يهون إلى جانبه الصبر على الألم، مهما زاد واشتد.

وذاث يوم مر عليها أبو جهل فسمعها تردد كلمات الإيمان: أحد. أحد. الله أكبر. الله أكبر. فأمرها أن تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه، فامتنعت، فأخذ حربة فطعنها بها، فسقطت شهيدة، وكانت -رضي الله عنها- كبيرة السن، عظيمة الإيمان، ضعيفة الجسم، قوية اليقين، رمزاً للصمود، وأماراة على قوة العقيدة، فلما كان يوم بدر قتل أبو جهل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار: "قتل الله قاتل أمك" [ابن سعد].



امرأة من الحور العين أم رومان زوجة أبي بكر



قال عنها رسول الله ﷺ: "من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين؛ فليُنظر إلى أم رومان" [ابن سعد] صحابية مجاهدة، ذات قلب طاهر ونفس طيبة، نزل رسول الله ﷺ قبرها، واستغفر لها وقال: "اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك" [ابن حجر في الإصابة].

إنها أم رومان بنت عمر بن عويمر، من المسلمات الأول، تزوجت من عبد الله بن الحارث بن سخرية، وأنجبت منه الطفيل، وكان قد قدم بها مكة، فحالف أبا بكر الصديق، ولما مات عبد الله تزوجها أبو بكر الصديق؛ فأنجبت منه: عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين. وكان أبو بكر - رضي الله عنه - متزوجاً قبلها، وعنده من الولد عبد الله وأسماء رضي الله عنهما.

ولما بلغت عائشة - رضي الله عنها - ست سنوات، ذهبت السيدة خولة بنت حكيم إلى أمها أم رومان، تقول لها: أي أم رومان! ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

قالت أم رومان: وما ذاك؟

أجابت خولة: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب له عائشة.

ومن ذلك الحين وأم رومان تتشرف بقراءة المصاهرة من الرسول ﷺ، وكان لها عنده ﷺ مكانة خاصة لتقائها وإيمانها.

وكانت زوجة لأبى بكر -رضي الله عنه- وكان النبي ﷺ يحبه حبًا كبيرًا. هاجرت أم رومان إلى المدينة مع ابنتها عائشة -رضي الله عنهما- وفي طريق الهجرة هاج بعيرُ السيدة عائشة فصاحت أم رومان -وهي خائفة على ابنتها- وابنتاه، واعروساه. فسكن البعير، ووصلت القافلة إلى المدينة بسلام، وهناك أخبرت أم رومان ابنتها "عائشة" بأنها ستزوج من النبي ﷺ.

وكانت أم رومان تحب ابنتها عائشة حبًا عظيمًا، ففي حديث الإفك أُغْمِي عليها؛ حُزْنَا على ما أصاب ابنتها، ولما أفاقت أخذت تدعو الله أن يظهر الحق، وظلت تواسي ابنتها ودموعها تتساقط، وجعلت تقول: أي بنية!.. هوّنِي عليك، فوالله لَقَلَّ ما كانت امرأة حسناء عند زوج يحبها ولها ضرائر إلا كثرن وكثر عليها الناس..

وما إن انكشفت غمامة الإفك، حتى انشرح صدر أم رومان، وحمدت الله على براءة ابنتها، وتكريم الله لها.

ولما كانت السنة السادسة من الهجرة توفيت "أم رومان"، فنزل النبي ﷺ قبرها واستغفر لها الله. رضي الله عنها وأرضاها، ورجح ابن حجر أنها ماتت بعد السنة الثامنة، والله أعلم.



ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر



أسلمت مبكرًا، وعاشت حياتها تنصر الإسلام في شجاعة وبطولة، وتضرب المثل في التضحية والفداء، فتقول: لما خرج رسول الله ﷺ أتاننا نفر من قريش، منهم أبو جهل عمرو بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي، فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشًا خبيثًا، فلطم خدي لكمة خرَّ منها قرطبي (نوع من حلى الأذن)، ثم انصرفوا.

فمضت ثلاث ليالٍ ما ندرى أين توجه رسول الله ﷺ، إذ أقبل صوت من أسفل مكة، يغني بأبيات شعرٍ غنى بها العرب، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ولا يرونه، حتى خرج بأعلى مكة، فقال:

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبَدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْهَدْيِ، فَاهْتَدَتْ بِهِ فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فِتْنَتِهِمْ وَمَقْعُدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ

[ابن هشام].

فلما سمعنا قوله - عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا أَرْبَعَةً: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَامِرُ بْنُ فِهْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرَيْقَطٍ دَلِيلُهُمْ.

إنها السيدة الفاضلة أسماء بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة، وأمها قُتَيْلَة بنت عبد العُزَّى بن عبد بن أسعد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وأخت عبد الله بن أبي بكر لأبيه وأمه، وأخت عائشة لأبيها، وكانت أكبر من عائشة في السن، ووالدة عبد الله بن الزبير، وآخر المهاجرات وفاة.

ولدت أسماء قبل الهجرة النبوية بسبع وعشرين سنة. وتزوجت من الزبير بن العوام قبل هجرتها إلى المدينة.. فلما استقر النبي ﷺ وصحبه هاجرت مع زوجها وكانت حاملاً، وفي المدينة، ولدت عبد الله بن الزبير، فكان أول مولود في الإسلام بالمدينة بعد هجرة المصطفى ﷺ، كما ولدت له عروة، والمنذر، والمهاجر، وعاصم، وخديجة الكبرى، وأم حسن، وعائشة.

وسُميت "ذات النطاقين" لأنه لما تجهز رسول الله للهجرة ومعه أبو بكر الصديق أرادت أن تجهز طعاماً، ولم تجد ما تربطه به، فشقت نطاقها نصفين، نصفاً تربط به الطعام، ونصفاً لها. [البخاري ومسلم وابن هشام].

فقال لها رسول الله ﷺ: "قد أبدلك الله بنطاقكِ هذا نطاقين في الجنة". فقليل لها: ذات النطاقين. [ابن سعد].

وكانت -رضي الله عنها- صامدة صابرة، بعد هجرة أبيها (أبي بكر) إلى المدينة، حسنة التصرف والتدبير، قالت: ولما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة -ومعه أبوبكر- حمل أبو بكر معه جميع ماله: خمسة آلاف أوستة آلاف، فأتاني جدى أبوقحافة، وقد ذهب بصره، فقال: إن هذا والله قد فجعكم بهاله مع نفسه! فقلت: كلا يا أبت! قد ترك لنا خيراً كثيراً.

فعمدَتْ إلى أحجار فجعلتهن في كوة في البيت - كان أبو بكر يجعل ماله فيها - وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئتُ به، فأخذتُ بيده فوضعتها على الثوب، فقلتُ: ترك لنا هذا! فجعل يَجِدُ مَسَّ الحجارة من وراء الثوب. فقال: لا بأس، إن كان ترك لكم هذا، فقد أحسن، ففي هذا لكم بلاغ. قالت: لا والله ما ترك لنا شيئاً، لكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك [أبو نعيم].

وكانت تثق فيها عند الله ورسوله، وترتاح إليه، فذات يوم بعثت إلى أختها عائشة - لما أصابها ورم في رأسها ووجهها -: اذكرى وجعى لرسول الله ﷺ، لعل الله يشفيني. فذكرت عائشة لرسول الله ﷺ وجعَ أسماء، فانطلق رسول الله ﷺ حتى دخل على أسماء، فوضع يده على وجهها ورأسها من فوق الثياب. وقال: "اللهم عافها من فحشه وأذاه" [ابن سعد].

وكانت - رضي الله عنها - تؤثر رضا الله تعالى، وتجعل دونه كل رضا، فلما جاءت أمها "قتيلة بنت عبد العزى" - وكانت مشركة - وقدمت لها هدايا، فرفضت أن تقبلها، وقالت: لا أقبلها حتى يأذن لي رسول الله ﷺ، ولا تدخلني علي. فذكرت ذلك عائشة للنبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وكانت تقول ما تراه حقاً وما تتمناه صدقاً، مصرحة بذلك من غير إيهاء ولا استحياء، فقد حدث هشام بن عروة عن أبيه، قال: دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء - قبل قتل ابن الزبير بعشر ليالٍ، وأنها وجعة - فقال عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة. قال: إن في الموت لعافية. قالت: لعلك تشتهي

موتي، فلذلك تتمناه، فلا تفعل. فالتفت إلى عبد الله فضحكت، فقالت: والله ما أشتهى أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك: إما أن تُقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقرّ عيني عليك.

وإياك أن تُعرض على خطة فلا توافق. فتقبلها كراهية الموت. [أبو نعيم وابن إسحاق].

وكانت باحثة عن الحق، فإذا وجدته كانت أسرع الناس عملاً به، ومرشدة غيرها إليه؛ حرصاً على عموم النفع والخير، وتوضيحاً لما استشكل من الأمور، فقد دخل عليها عبد الله - بعد أن خذله أنصاره مستيئسين من النصر على الحجاج - فقال لها: يا أماه! ما ترين؟ قد خذلني الناس، وخذلني أهل بيتي! فقالت: لا يلعبن بك صبيان بني أمية. عَشْ كريماً أو مِتْ كريماً. فخرج فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه نفر يسير، فجعل يقاتل - في شجاعة - جيش الحجاج.

ولما ناداه الحجاج ليقبل الأمان ويدخل في طاعة أمير المؤمنين، دخل على أمه أساء، فقال لها: إن هذا - يعني الحجاج - قد أمّني. قالت: يا بني، لا ترصّ الدنية، فإن الموت لا بد منه. قال: إني أخاف أن يمثّل بي، قالت: يا بني ما يضير الشاة سلخها بعد ذبحها.

عندئذٍ خرج فقاتل قتالاً باسلاً حتى استشهد! وأقبل عليه الحجاج فحز رأسه، ثم بعث بها إلى عبد الملك بن مروان، وصلبه منكساً، وعظم الأمر على أمه أساء - وكان قد ذهب بصرها - فخرجت إلى الحجاج مع بعض جواريتها، فلما دخلت عليه قالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل - تقصد ابنها عبد الله -؟

فقال الحجاج: المنافق؟ فقالت: لا والله ماكان منافقًا. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "يُخرج في ثقيف كذاب ومُبِير (قاتل). فأما الكذاب فقد رأيناه - تقصد المختار الثقفي - وأما المبير فأنت هو! [الطبراني].

ثم جاء كتاب عبد الملك بن مروان بإنزال ابنها من الخشبة ودفعه إلى أهله، فغسلته أمه أسماء وطيبته، ثم دفنته.

وقد روت أسماء الكثير من الأحاديث، وروى عنها أبناؤها وأولادهم، فعن عبد الله بن عروة بن الزبير، قال: قلتُ لجدتي أسماء: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تَدْمَعُ أعينهم، وتقشعر جلودهم، كما نعتهم الله، قال: قلتُ: فإن ناسًا هاهنا إذا سمع أحدهم القرآن خر مغشيًا عليه! فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

امتد العمر بأسماء حتى بلغت مائة عام، وتُوفيت في سنة ٧٣ هجرية، ولم يسقط لها سن، ولم يُنكر لها عقل! رضي الله عنها.



أخت الفاروق فاطمة بنت الخطاب



سُجل اسمها في ذاكرة التاريخ ووعي الأمة من خلال إسلام أخيها "عمر بن الخطاب"، وكيفيها فخراً واعتزازاً أن دعوة الرسول ﷺ بأن يعز الله الإسلام بأحد العمرين قد تحققت على يديها.

إنها أم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر -رضي الله عنهما- فيحكي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قصة إسلامه على يديها، فيقول: خرجت بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام، فإذا بنعيم ابن عبد الله المخزومي، فقلتُ له: أرغبتَ عن دين آبائك إلى دين محمد؟ قال: قد فعل ذلك من هو أعظم عليكَ حقاً مني. فقلتُ: ومن هو؟ قال: أختك فاطمة وختنك (صهرك) زوجها، (سعيد بن زيد).

فانطلقتُ فوجدتُ الباب مغلقاً، وسمعتُ همهمة، ولما فُتح الباب -دخلتُ، فقلتُ: ما هذا الذي أسمعُ؟ قالتُ فاطمة: ما سمعت شيئاً. فما زال الكلام بيننا حتى أخذتُ برأسها، فقالتُ: قد كان ذلك على رغم أنفك، فاستحييتُ حين رأيتُ الدم.

وقلت: أروني الكتاب الذي سمعتم تقرأون أنفاً. فقالت: إنا نخشاك عليه، فقلتُ: لا تخافي وحلفت بالآلهة لأردنه -إذا قرأته- إليهم، فقالت: إنه لا

يمسّه إلا بالمطهرون، فاغتسلت، فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ إِلَّا تَذَكُّرٌ لَّنْ يَخْشَى تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۖ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٢].

فقلت: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع مني خباب بن الارت هذا الكلام خرج من محبته، حيث كان يُقرئها وزوجها القرآن، فلما سمعني -أطرق على الباب- خشي وتخفى فيه، فقال: يا عمر. إني لأرجو الله أن يكون قد خصّك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب" (وفي رواية: بأحد العُمَريْن) فالله الله يا عمر.

فقلت لخباب: دلني على محمد؛ حتى آتيه فأسلم. فأخذني إلى بيت الأرقم بن أبي الأرقم (على الصفا)، حتى قلت أمام رسول الله ﷺ، حينئذ كبر رسول الله ﷺ، فكبر الصحابة وهللوا، وأعلنوا فرحتهم. [أبو نعيم].

نشأت فاطمة في بيت أبيها الخطاب بن نفيل المخزومي القرشي صاحب الشرف والرفعة والفضائل العربية، وأمها هي حنيفة بنت هاشم بن المغيرة.

كانت فاطمة بنت الخطاب صحابية جلييلة لها السبق إلى الإسلام، هي وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل -أحد العشرة المبشرين بالجنة- حيث أسلما قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وأنجبت له عبد الرحمن.

وقد كان لها دور مهم في بداية الدعوة، فقد أعطت نموذجاً كريماً للمرأة في الكتمان والسرية حفاظاً على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ، وضربت -كذلك- مثالا في الشجاعة.

يروى أن المشركين هاجموا المسلمين ذات يوم، وكان فيهم الرسول ﷺ وأبو بكر، وضرب أبو بكر ضرباً شديداً، ثم حُل إلى داره. فلما أفاق سأل أمه "أم الخير": ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك! فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت أم جميل: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً، فاقتربت أم جميل منه، وصاحت: والله إن قومًا نالوا هذا منك، لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم. قال: فإن لله على لا أذوق طعماً ولا أشرب شرباً حتى أتى رسول الله ﷺ. فأمهلتاه حتى سكن الناس. ثم خرجتا به يتكئ عليهما؛ حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ.

وقد روت -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ عدة أحاديث.



المحاربة أم المحاربين نسبية بنت كعب



"ما التفتُّ يومَ أحدٍ يمينًا ولا شمالًا إلا وأراها تقاتل دوني".

يقول النبي ﷺ عنها: "لمقام نسبية بنت كعب اليوم خيرٌ من مقام فلان وفلان" [ابن سعد].

وتقول عن نفسها: رأيتني وقد انكشف الناس عن النبي ﷺ، فما بقي إلا في نفر لا يتّمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه (ندافع عنه)، والناس يمرون به منهزمين، ورأني لا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً معه ترس، فقال ﷺ لصاحب الترس: "ألقي ترسك إلى من يقاتل". فألقى ترسه، فأخذته، فجعلت أترس به عن النبي ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجالاً مثلنا، أصبناهم إن شاء الله، فأقبل رجل على فرس، فضربنى وترست له، فلم يصنع سيفه شيئاً، وولّي، فضربت عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك أمك، فعاونني عليه حتى أوردته شعوب (الموت). فسمعت رسول الله ﷺ يقول: "بارك الله عليكم من أهل بيت، رحمكم الله - أهل البيت -" [ابن سعد].

وقال النبي ﷺ: "اللهم اجعلهم رفقاء في الجنة" [ابن سعد]. فقالت أم عمارة: ما أبالي ما أصابني من الدنيا.

ويقول ابنها عبد الله بن زيد: جُرِحْتُ يومئذٍ جرحًا، وجعل الدم لا يرقأ (لا يسكن عن الانقطاع)، فقال النبي ﷺ: "اعصب جرحك"، فتقبل أُمِّي إلي، ومعها عصائب في حقوها، فربطتُ جرحي، والنبي واقف ينظر إلي، فقال: "انهض بني فضارب القوم". وجعل النبي ﷺ يقول: "ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة". قالت: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني، فقال ﷺ: "هذا ضارب ابنك". فاعترضتُ له فضربتُ ساقه، فبرك. فرأيتُ النبي ﷺ يتسم حتى رأيتُ نواجذه، وقال: "استقدتِ (أخذتِ ثأركِ) يا أم عمارة"، ثم أقبلنا نُعلِّهُ (تتابع ضربه) بالسلاح حتى أتينا على أنفسه. فقال ﷺ: "الحمد لله الذي ظفرك" [ابن سعد].

إنها السيدة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصاري، المعروفة بأم عمارة، وأمها الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد، أنموذج حي من نماذج النساء المؤمنات المخلصات، وواحدة من امرأتين حضرتتا بيعة العقبة الثانية، وتقول في ذلك: كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله ﷺ ليلة العقبة، والعباس أخذ بيد النبي ﷺ، فلما بقيتُ أنا وأم منيع أختي؛ نادى زوجي "غزية بن عمرو": يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتتا معنا يبايعانك، فقال النبي ﷺ: "قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه، إني لا أصافح النساء" [ابن سعد].

جاهدت في الله بكل ما أوتيت من قوة، ونذرت نفسها لإعلاء كلمة الله، فقاتلت يوم أحد وجُرِحَتْ اثنتي عشرة جراحة، وداوت جرحًا في عنقها لمدة سنة حتى قال عنها النبي ﷺ: "لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان" [ابن سعد]، ولما نادى النبي ﷺ إلى حمراء الأسد، شدت عليها

ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، كما شهدت الحديبية وخيبر وحنينا ويوم اليمامة.

وهي أخت عبد الله بن كعب الذي شهد بدرًا، وأخت أبي ليلى عبد الرحمن بن كعب - أحد البكّائين - لأبيها وأُمها.

تزوجت من زيد بن عاصم النجاري فولدت له عبد الله وحبیبًا، اللذين صحبا النبي ﷺ، ثم تزوجت بعده غزية بن عمرو من بني النجار، فولدت له تميمًا وخولة. وقد شهد معها ومع ابنها من زوجها الأول أحدًا.

كانت نسبية تحافظ على حضور الجماعة مع النبي ﷺ؛ كبقية النساء آنذاك، فتسمع منه الدروس وتتعلم أدب الإسلام.

ولما بلغها أن ابنها "حبیبًا" قتله مسيلمة الكذاب، ومثل به - حين بعثه أبو بكر إليه؛ ليدعوه إلى الإسلام ويُرجعه عن افتراءاته وكذبه - عاهدت الله أن لا تموت دون هذا الكذاب؛ لهذا جاءت الصديق أبا بكر - عندما أراد إرسال الجيش إلى اليمامة لمحاربة المرتدين ومسيلمة الكذاب - تستأذنه في الخروج مع الجيش، فقال لها: قد عرفنا بلاءك في الحرب، فاخرجي على اسم الله. وأوصى خالد بن الوليد بها خيرًا، وفي المعركة جاهدت وأبلى أحسن البلاء، وجُرحت أحد عشر جرحًا وقُطعت يدها، واستشهد ابنها الثاني عبد الله، وذلك بعد أن شارك معها في قتل مسيلمة عدو الله.

ولما هدأت الحرب وصارت أم عمارة إلى منزلها؛ جاءها خالد ابن الوليد يطلب من العرب مداواتها بالزيت المغلي، فكان أشد عليها من القطع، ولهذا كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يعودها - وهو خليفة - بعدما عادت

من اليامة؛ لأنه أكرم فيها إيمانها وصدقها وبطولتها، وعَرَفَ شهادة نبي الله ﷺ فيها؛ لهذا ظل يسأل عنها ويعودها، حتى شُفِيَتْ بإذن الله. وكان خالد بن الوليد يزورها ويعرف حقها ويحفظ فيها وصية سيد البشر ﷺ.

تلك هي المسلمة المجاهدة الداعية المربية، التي تعدُّ الأبطال، وتربي الرجال، التي لا تعباً بها يصيبها في الدنيا، بعد أن دعا لها النبي ﷺ برفقته في الجنة، فكانت في طليعة المؤمنات الصادقات، ورصَّعت تاريخها على جبين التاريخ لتكون نموذجاً يُحتذى.

صابرة.. ومهرها الإسلام أم سليم بنت ملحان



بشرها النبي ﷺ بالجنة، فقال: " دخلتُ الجنة، فسمعتُ خشفة (حركة) بين يدي، فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان " [متفق عليه].

تُري.. ماذا عملت تلك السيدة لتكون من أهل الجنة؟ وماذا عن حياتها؟ إنها آمنتُ بالله، وآثرتُ الإسلام حين أشرقتُ شمسهُ على العالم، وتعلمتُ في مدرسة النبوة كيف تعيش المرأة حياتها، تصبر على ما يصيبها من حوادث الزمان؛ كي تنال مقعد الصابرين في الجنة، وتفوز بمنزلة المؤمنين في الآخرة.

فقد فقدت "الرميصاء" ابنها الوحيد، وفلذة كبدها، وثمره حياتها؛ حيث شاء الله له يمرض ويموت، فلم تبك ولم تنح، بل صبرت واحتسبت الأجر عند الله، وأرادت ألا تصدم زوجها بخبر موت ابنه، وقررت أن تسوق إليه الخبر في لطف وأناة، حتى لا يكون وقع الخبر سيئاً.

عاد أبو طلحة، وقد كان غائباً عن هذه الزوجة الحليمة العاقلة، فما إن سمعت صوت زوجها - حتى استقبلته بحفاوة وبوجه بشوش، وقدمت له إفطاره - وكان صائماً - ثم تزينت له زينة العروس لزوجها ليلة العرس.

أقبل أبو طلحة يسألها عن الولد، وقد تركه مريضاً قبل أن يخرج، فتجيب في ذكاء ولباقة: هو أسكن من ذي قبل.

ثم تتحین الزوجة الصابرة الفرصة، فتبادره في ذكاء وفطنة بكلمات يحوطها حنان وحكمة قائلة له: يا أبا طلحة... أرأيت لو أن قومًا أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا عاريتهم، أيمنعونهم؟! قال: ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداة إلى أهلها. فلما انتزعت منه هذا الجواب، قالت: إن الله أعارنا ابننا، ثم أخذه مِنَّا، فاحتسبه عند الله.. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ووجد في نفسه مما فعلت زوجته.

فلما لاح الفجر، ذهب أبو طلحة إلى النبي ﷺ يخبره بما كان من زوجه أم سليم، فيقول النبي ﷺ: "بارك الله لكما في ليلتكما" [البخاري].
يقول أحد الصحابة: إنه وُلد لأم سليم وزوجها من تلك الليلة عبد الله بن أبي طلحة فكان لعبد الله عشرة من الولد، كلهم قد حفظ القرآن الكريم، وكان منهم إسحق بن عبد الله الفقيه التابعي الجليل.

كانت أم سليم مؤمنة مجاهدة تشارك المسلمين في جهادهم لرفع راية الجهاد والحق، فكانت مع أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنهما - يوم أُحد، فكانتا تحملان الماء وتسقيان العطشى. وفي يوم حنين جاء أبو طلحة يُضحك رسول الله ﷺ من أم سليم، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر؟ فقالت: يا رسول الله إن دنا مني مشرك؛ بقرت به بطنه [ابن سعد].

ولم تكتف الرميصاء بالمشاركة في ميدان الجهاد، بل اشتهرت مع ذلك بحبها الشديد للعلم والفقه، فعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إن الله لا يستحي من الحق، فهل على

المرأة من غُسل إذا احتلمت؟ فقال ﷺ: "إذا رأَت الماء" (فغَطَّتْ أم سلمة وجهها حياءً) وقالت: أو تحتلم المرأة؟

قال: "نعم. تَرَبَّتْ يَمِينُكَ فِيمَ يُشَبِّهُهَا وَلَدُهَا؟" [البخاري].

وقد اختلفوا في اسمها، فقليل، سهلة، وقيل: رُميلة. وقيل: رُمَيْتة، وقيل: أنيفة، وتعرف بأم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد ابن حرام من الخزرج من بني النجار، تربطها بالنبي ﷺ صلة قرابة، ذلك أن بني النجار هم أحوال أبيه، وهي أخت حرام بن ملحان، أحد القراء السبعة، وأخت أم حرام زوجة عبادة بن الصامت .

تزوجت "مالك بن النضر" فولدت له أنس بن مالك.

وذات يوم جاءت أم سليم إلى زوجها مالك بن النضر - وكانت قد أسلمت، وهو لا يزال على شركه - فقالت له: جئتُ اليوم بما تكره؟ فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي (يقصد رسول الله ﷺ). قالت: كان أعرابياً اصطفاه الله واختاره، وجعله نبياً. قال: ما الذي جئت به؟ قالت: حُرِّمَت الخمر. قال: هذا فراق بيني وبينك، فمات مشركاً. وتقدم "أبو طلحة" إلى أم سليم ليخطبها، وذلك قبل أن يسلم، فقالت له: أما إنني فيك لراغبة، وما مثلك يُرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم؛ فذلك مهري، لا أسألك غيره. فأسلم أبو طلحة وتزوجها. وفي رواية أنها قالت: يا أبا طلحة أَلَسْتُ تعلم أن إلهك الذي تعبد خَشَبَةٌ نَبَتَتْ مِنَ الْأَرْضِ تَجَرُّهَا حَبَشَى بن فلان؟ قال: بلي. قالت: أفلا تستحي أن تعبدوها؟ لئن أسلمت لم أُرِدْ منك من الصداق غير الإسلام. فأسلم. قالت: يا أنس! زَوِّجْ أبا طلحة. فكان ابنها وليها

في عقدها. قال ثابت: فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم؛ الإسلام. وكان النبي ﷺ يزور أم سليم -رضي الله عنها- ويتفقد حالها، فسُئل عن ذلك، فقال: "إني أرحمها. قُتل أخوها معي" [الطبراني]. وأخوها هو "حرام بن ملحان" قتل في بئر معونة شهيداً في سبيل الله. تلك هي أم سليم، عاشت حياتها تناصر الإسلام، وتشارك المسلمين في أعمالهم، وظلت تكافح حتى أتاها اليقين، فماتت، ودُفنت بالمدينة المنورة. رحمها الله تعالى ورضي الله عنها.



راكبة البحر أم حرام بنت ملحان



قالت: بينما رسول الله ﷺ يزورنا إذ وضع رأسه؛ لينام ساعة القيلولة، فاستيقظ فجأة وهو يتشم، فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة" فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "اللهم اجعلها منهم". ثم عاد فضحك فقالت له مثل ذلك، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "أنت من الأولين ولست من الآخرين" [البخاري].

وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا".

قالت: يا رسول الله أنا فيهم؟

قال: "أنت فيهم". ثم قال النبي ﷺ: "أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم".

فقالت: أنا فيهم يا رسول الله؟

قال: "لا" [البخاري].

وكانت تلك نبوءة تنبأ بها رسول الله ﷺ.

إنها أم حرام بنت ملحان الخزرجية الأنصارية، أخت الرُّمَيْصَاء أم سليم -رضي الله عنهما-.

تزوجها عمرو بن قيس -رضي الله عنه- فأنجبت له قيسًا وعبدالله، وظلت مع عمرو بن قيس حتى كانت غزوة أحد، فاستشهد عمرو وولده قيس، فتزوجها عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- فعاشت في كنفه مطيعة راضية.

وكان لأم حرام شغف بالجهاد في سبيل الله، وباعٍ طويل فيه؛ فقد خرجت مع زوجها عبادة إلى الشام في جيش كان قائده معاوية ابن أبي سفيان -رضي الله عنه- فلما جاز معاوية بجيشه البحر، كانت أم حرام تركب دابة لها، فجالت بها الدابة، فصرتها وقتلتها، وذلك في غزوة "قبرص"، وهكذا تحققت نبوءة النبي ﷺ لها.

توفيت أم حرام في خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سنة ٢٨ هجرية، ودفنت في مكان مَقْتَلِهَا (بجزيرة قبرص)، وكان الناس كلما مَرَّوا بقبرها يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة.

وروت السيدة أم حرام -رضي الله عنها- بعضًا من أحاديث رسول الله

ﷺ.



خطيبة النساء أسماء بنت يزيد



رَوَى أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ وَرَائِي مِنْ جَمَاعَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِنَّ يَقْلَنُ بِقَوْلِي، وَعَلَى مِثْلِ رَأْيِي، إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ بَعَثَكَ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَأَمَّا بِكَ وَاتَّبِعْنَاكَ. وَنَحْنُ -مَعِشَرُ النِّسَاءِ- مَقْصُورَاتُ مَخْدَرَاتٍ، قَوَاعِدُ بَيْوتٍ، وَمَوَاضِعُ شَهَوَاتِ الرِّجَالِ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِهِمْ. وَإِنْ الرِّجَالُ فَضَّلُوا بِالْجُمُعَاتِ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْجِهَادِ، وَإِذَا خَرَجُوا لِلْجِهَادِ؛ حَفَظْنَا لَهُمْ أَمْوَالَهُمْ، وَرَبِّينَا أَوْلَادَهُمْ، أَنْشَارُكُهُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَوَجْهِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: "هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَ امْرَأَةٍ أَحْسَنَ سَوْأَلًا عَنْ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟". فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ظَنَّنَا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "انْصَرَفِي يَا أَسْمَاءُ، وَأَعْلِمِي مَنْ وَرَاءَكَ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُلٍ إِحْدَاكُنَّ لَزَوْجِهَا، وَطَلِبُهَا لِمَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعُهَا لِمَوَافَقَتِهِ، يَعْدِلُ كُلُّ مَا ذَكَرْتُ لِلرِّجَالِ". فَانْصَرَفَتْ أَسْمَاءُ وَهِيَ تَهَلَّلُ وَتَكْبُرُ اسْتِبْشَارًا بِمَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. [ابن عبد البر في الاستيعاب].

إنها أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، ابنة عم معاذ بن جبل. وكانت تسمى -أيضًا- "فكيهة"، وتكنى بـ "أم سلمة" أو "أم عام الأشهلية".

كانت من النسوة اللاتي بايعهن رسول الله ﷺ يوم الحديبية. تقول: إن رسول الله ﷺ قبض يده وقال: "إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة" [الترمذي والنسائي].

كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء فُؤودٌ معه، فقال: "لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها" فسكتوا فقالت: أي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. فقال ﷺ: "فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها (أي: جامعها) والناس ينظرون" [أحمد].

وقد شهدت "أسماء" مع رسول الله ﷺ فتح مكة، ثم امتد بها العمر حتى شهدت موقعة اليرموك سنة خمس عشرة من الهجرة. ويقال إنها قتلت من الروم تسعة بعمود فسطاطها (خيمتها).

رَوَتْ عن النبي ﷺ عددًا ليس بالقليل من أحاديثه ﷺ، وروى عنها كثيرون.



صاحبة الخيمة أم معبد

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ فَلَا خِيَمَتَى أُمَّ مَعْبِدِ
هُمَا نَزَلَا بِأَهْدَى، فَأَهْتَدَتْ بِهِ فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

أبيات من الشعر ترددت في سماء مكة، وسمعتها كل الناس، وهم لا يرون قائلها، كما روت كتب التراجم والسير.

وأم معبد هي عاتكة بنت خالد الخزاعية، من بني كعب، صحابية جليلة. وقد نصبت أم معبد وزوجها خيمتهما في قلب الصحراء؛ لاستضافة الضيوف، وكسب أعطيائهم.

واشتهر عن السيدة الفاضلة أم معبد وصفها للنبي ﷺ فعندما خرج النبي ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة ومعه "أبو بكر"، و"عامر بن فهيرة" مولى أبي بكر، ودليلهم "عبد الله بن أريقط" اشتد بهم العطش، وبلغ الجوع بهم منتهاه، فجاءوا إلى "أم معبد" ونزلوا بخيمتها، وطلبوا منها أن يشتروا لحماً وتمرًا، فلم يجدوا عندها شيئاً، فنظر النبي ﷺ في جانب الخيمة فوجد شاة، فسألها: "يا أم معبد! هل بها من لبن؟" قالت: لا. هي أجهد من ذلك (أى أنها أضعف من أن تحلب)، فقال: "أتأذنين لى أن أحلبها؟" قالت: نعم، إن رأيت بها حلباً،

فمسح ضرعها بيده الشريفة، وسَمَّى الله، ودعا لأم معبد في شاتها، فدرّت واجترّت، فدعاها وطلب منها إناءً، ثم حلب فيه حتى امتلأ عن آخره، وقَدَّمه إليها فشربت، حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى رَوُوا، وشرب (آخرهم). ثم حلب ثانيًا، وتركه عندها، وارتحلوا عنها. فلما لبثت إلا قليلاً حتى جاء زوجها أبو معبد (أكثم بن أبي الجون) يسوق أعْزًا عجافًا هزالًا، تسير سيرًا ضعيفًا لشدة ضعفها، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين هذا يا أم معبد، والشاة عازب بعيدة عن المرعي، حيال غير حامل، ولا حَلُوبَة في البيت؟ قالت: مرّ بنا رجل كريم مبارك، كان من حديثه كذا وكذا! قال: صِفِي لِي يا أم معبد.

فقالت: إنه رجلٌ ظاهر الوضاعة، أبلج الوجه (أى أبيض واضح ما بين الحاجبين كأنه يضيء)، حسن الخلقة، لم تُزِرْ به صِيلة (أى لم يعيَّبه صغر في رأس، ولا خفة ولا نحول في بدن)، ولم تَعِبْه ثَجلة (الثجلة: ضخامة البطن)، وسيما قسيما، في عينيه دَعَج (شدة سواد العين)، وفي أشفاره عطف (طول أهداب العين)، وفي عنقه سَطَع (السطع: الطول)، وفي صوته صَحَل (بحّة)، وفي لحيته كثافة، أحور أكحل... أزجُّ أقرن (الزجاج: هو تقوس في الحواجب مع طول وامتداد، والأقرن: المتصل الحواجب)، إن صمّت فعليه الوقار، وإن تكلم سَمًا وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاء من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فَضْلٌ، لا نزر ولا هَدْر، وكأن منطقَه خرزات نظم تنحدر، رَبْعَة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه العين من قِصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، (تقصد أبا بكر، وابن أريقط؛ لأن عامر بن فهيرة كان بعيدًا عنهم يعفى آثارهم) أحسنهم قدرًا، له رُفقاء يحفُّون به، إن قال

أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود (أى يحفه الناس ويخدمونه). لا عابس ولا مُفند (المُفند: الضعيف الرأي). فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش، الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولو كنت وافقته لالتمستُ صحبتَه، ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً، فأعدت أم معبد وزوجها العدة؛ كي يلحقا برسول الله ﷺ في المدينة، وهناك أسلما، ودخلا في حِمى الإسلام.

وعاشت أم معبد -رضي الله عنها- بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وكان الصحابة يقدِّرونها ويعرفون لها فضلها. فعن هشام بن حرام، عن أبيه: أن أم معبد كانت تُجْرى عليها كِسوة، وشيء من غلة اليمن، وقَطْران لإبلها، فمرَّ عثمان، فقالت: أين كسوتي؟ وأين غلة اليمن التي كانت تأتيني؟ قال: هي لك يا أم معبد عندنا، واتبعته حتى أعطاه إياها. [الطبراني].



الصادقة.. المصدقة

أم ذر



رَوَى أَنَّ زَوْجَهَا سُئِلَ عَنْ بَدْءِ إِسْلَامِهِ، فَقَالَ: دَخَلْتُ عَلَى صَنْمٍ كَانَ عِنْدَنَا نَقُولُ لَهُ تُهْمٌ، فَأَتَيْتُهُ فَصَبَّيْتُ لَهُ لَبَنًا وَوَلَيْتُ، فَإِذَا كَلْبٌ يَشْرَبُ ذَلِكَ اللَّبَنَ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَفَعَ رِجْلَهُ، فَبَالَ عَلَى الصَّنَمِ فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

أَلَا يَا تُهْمُ إِنِّي قَدْ بَدَأَ لِي مَدَى شَرَفٍ يُبْعَدُ مِنْكَ قُرْبًا
رَأَيْتُ الْكَلْبَ سَامَكَ حَظًّا خَسَفَ فَلَمْ يَمْنَعْ قَفَاكَ الْيَوْمَ كَلْبًا

فَسَمِعَتْنِي أُمُّ ذَرٍّ فَقَالَتْ:

لَقَدْ أَتَيْتَ جُرْمًا وَأَصَبْتَ عَظْمًا حِينَ هَجَوْتَ تُهْمًا
فَأَخْبَرْتُهَا الْخَبَرَ، فَقَالَتْ:

أَلَا فَاْبِغْنَا رَبًّا كَرِيمًا جَوَادًا فِي الْفَضَائِلِ يَا بَنَ وَهَبٍ
فَمَا مِنْ سَامَةٍ كُلُّهَا حَقِيرٌ فَلَمْ يَمْنَعْ يَدَاهُ لَنَا بِرَبٍّ
فَمَا عَبَدَ الْحَجَارَةَ غَيْرُ غَاوٍ رَكِيكَ الْعَقْلَ لَيْسَ بِذِي لُبٍّ

فَلَمَّا حَكَيْتَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَبَسَّمَ وَقَالَ: "صَدَقَتْ أُمُّ ذَرٍّ، فَمَا عَبْدُ الْحَجَارَةِ غَيْرُ غَاوٍ" [ابن حجر في الإصابة].

هذه أم ذر، أدركت قبل إسلامها أن الصنم لا ينفع ولا يضر، فإنه حجر أصم، وأنه لا بد أن يكون لها رب كريم عظيم في فضائله .

تركت دارها في قبيلتها غفار، وسعت إلى المدينة مع زوجها، الذي أخلصت له، وتحملت المشقات والمتاعب التي فاقت طاقتها لأجله.

سمعت من زوجها ما تعلمه من رسول الله ﷺ، وتعلما منه الحكمة والأخلاق الكريمة، وكان دائماً يقول لها: علّمني خليلي رسول الله ﷺ أن أقول الحق ولو كان مرًا.

وقد تمسكت بالعاليم النبوية الشريفة، وعضت عليها بنواجذها، ولم تضعف أمام ما تعرّض له زوجها، فبرّوى أنه حين سافر إلى دمشق وجد الناس يميلون إلى الدنيا ميلاً عظيماً، ويركنون إليها، فذهب إلى معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- وإلى دمشق يومئذ، ودخل معه في حوار ساخن وعاصف، أدى إلى أن شكاه معاوية لدى الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فقال زوجها لعثمان: أتأذن لي في الخروج من المدينة، فأذن له، فنزل منطقة تسمى الريدة، وبنى بها مسجداً، وأجرى عليه عثمان العطاء؛ وقد لحقت أم ذر بزوجها، وأقامت معه فيها، إلا أن صعوبة الحياة هنالك؛ أدت إلى أن مرض زوجها -وكان شيخاً لا يقدر على رمضاء هذا الجو- فقامت في خدمته لا تمل ولا تتعب ولا تشتكي، بل ظلت وفية له ومخلصة في إيمانها.

وفي يوم من الأيام، أدركت أن زوجها على أعتاب الموت فبكت، فقال لها زوجها: فيم البكاء والموت حق؟ فأجابته، بأنها تبكي لأنه يموت وليس عندها ثوب يسعه كفنًا. فابتسم في حنان وقال لها: اطمئني، لا تبك، فإني سمعت النبي ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفر من أصحابه يقول: "ليموتنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين" فرأيت كل من كان معي في

ذلك المجلس مات في جماعة وقربة، ولم يبق منهم غيري، وها أنا ذا بالفلاة أموت، فراقبى الطريق، فستطلع علينا عصابة من المؤمنين، فيأتي والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ. [ابن سعد والهيشمي]. ثم فاضت روحه إلى الله سبحانه وتعالى، وبينما هو مُسَجَّى على حَجَرٍها إذ رأت قافلة من المؤمنين قد أخذت في الظهور من جانب الصحراء، وكان بينهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ.

فنزّل عبد الله - رضي الله عنه - وقام بغسله وتكفينه ودفنه، ثم واسى أهله، وأخذهم معه إلى الخليفة عثمان في المدينة.

هذه هي أم ذر، زوجة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري - رضي الله عنهما - ما ماتت حتى تركت لنا مثالا عظيما في الوفاء لزوجها، والإخلاص له، والزهد في الدنيا؛ فقد ظلت بجانبه إلى آخر حياته وأكرمته، وظلت تحرسه حتى بعد موته، وصبرت معه على شظف العيش ومجاهدة النفس وغوائل الشهوة، وهكذا تكون المرأة المؤمنة الصالحة؛ ترضى زوجها؛ كي تنال رضا ربها، فرضي الله عن أم ذر وأرضاها.



الفتاة المهاجرة أم كلثوم بنت عقبة



اشترط كفار قريش لأنفسهم في صلح الحديبية الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ هذا الشرط: "لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا"، فكان شرطاً قاسياً وابتلاءً عظيماً لكل من آمن من أهل مكة ولم يهاجر بعد..

وكانت هناك فتاة قرشية أسلمت قبل هذا الصلح بكثير، أسلمت قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، لكنها لضعفها ورقتها لم تحتمل ما تعرض له مسلمو مكة بعد ذلك الصلح من فتنة وعذاب، وضاعت ذرعاً بما يصنع المشركون، فقررت - بالرغم من علمها بذلك الشرط - أن تهاجر إلى المدينة حيث رسول الله ﷺ، ثم ليقض الله - بعد ذلك - في أمرها ما يشاء.

إنها فتاة صدقت الله - عز وجل - وهاجرت في سبيله ابتغاء مرضاته، متوكله عليه، وكانت بمفردها، ليس معها من رفيق سوى الله - عز وجل - خرجت رغم أنف الكافرين راغبة في جوار رسول الله ﷺ، فحقق الله لها رغبتها.

خرجت، دون أن تُعلم أحداً بخروجها، قاصدة يثرب، مهاجرة إلى الله ورسوله. فيسر الله لها قافلة لرجل من خزاعة، فاستبشرت خيراً وأمنت الرجل وقافلته على نفسها، إذ قد علمت أن خزاعة قد دخلت في حلف رسول الله ﷺ ضد قريش، فصحبتهم إلى المدينة، فأحسنوا صحبتها حتى بلغت مأمنها... وخرج أهلها يبحثون عنها، فعلموا أنها هاجرت إلى المدينة، فقالوا:

لا ضير، بيننا وبين محمد عهد وصلح، وليس أحد من الناس بأوفى من محمد، نذهب إليه، ونسأله أن يفي لنا بعهدهنا.

وقدم أخوها "عمارة" و"الوليد" المدينة في طلب أختها، وعلمت الفتاة أن رسول الله ﷺ سيفي لهما بما وعد، فأقبلت نحو رسول الله ﷺ في ثقة فقالت: يا رسول الله أنا امرأة، وحال النساء إلى ما قد علمت ﴿من الضعف﴾، فأخشى إن رددتني إليهم أن يفتنوني في ديني ولا صبر لي.

فإذا برحات الله تنزل لتلغى ذلك الشرط الجائر في حق النساء، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآنًا يُتلى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠].

وتمثل هذا الامتحان في سؤال المرأة عن سبب هجرتها؛ ليتأكد من صدق إسلامها وحسن إقبالها على الله ورسوله.. فقالت: "بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله".

وعلم الله ما في قلب هذه الفتاة المؤمنة من خير، فإنه ما أخرجها من أرضها وديارها إلا حب الله وحب رسول الله ﷺ فأنزل السكينة عليها، وألقى في قلوب المسلمين تصديقها، ورد أخويها والذين ظلموا على أعقابهم وخيب مسعاهم.. وهكذا مَنْ تَصَدَّقَ اللهُ بِصَدَقَتِهَا، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ يَكْفِهَا، وَمَنْ تَسْتَنْصِرَ اللهَ يَنْصُرْهَا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

إنها الصحابية الفاضلة "أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط" -رضي الله عنها- أخت عثمان بن عفان لأمه، تزوجها زيد ابن حارثة -رضي الله عنه-، ثم ما لبث أن استشهد في غزوة مؤتة، فتزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب، ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-، وكانت معه مثالا للزوجة الصالحة الوفية، وأنجبت له إبراهيم وحيداً، ولما توفي عبد الرحمن ابن عوف تزوجها عمرو بن العاص فعاشت معه شهراً ثم توفيت، وكان ذلك في خلافة الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-.

وقد روت السيدة أم كلثوم -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ وروى عنها الكثيرون؛ ومما روى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس فينمى خيراً ويقول خيراً" [متفق عليه].



صاحبة الميراث أم كُجة



جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتاي استشهد أبوهما معك يوم أحد، وقد أخذ عمهما مالهما كله، ولم يدع لهما شيئاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله، فوالله لا ينكحان أبداً إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ: يقضى الله في ذلك.

فأنزل الله تعالى في أمرهما آية الميراث، وجعلها أساساً وشرعية لكافة المسلمين، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: "ادع إلى المرأة وصاحبها" فقال للرجل: "أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقى فهو لك" [أحمد وأصحاب السنن].

وما إن فرض نظام الميراث في الإسلام، حتى استفادت النساء من عدله ورحمته، بعد أن كان الجاهليون لا يورثون النساء ولا الضعفاء من الرجال،

ويقولون: إلا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف. [أخرجه أحمد وأصحاب السنن].

تلك هي السيدة أم كُجَّة - رضي الله عنها -، عاشت في المدينة تتعلم شرائع الإسلام من النبي ﷺ، وتساند مسيرة الإسلام المباركة.

تزوجت "أوس بن ثابت" - رضي الله عنه - أخا حسان بن ثابت - شاعر الرسول - وساهمت في الجهاد، فحضرت أحدًا حيث استشهد زوجها - رضي الله عنها -.



المضحية ليلى بنت أبى حثمة



عرفت حقيقة الإسلام وعظمته، فضحّت من أجله بكل غالٍ ونفيس. فقد أسلمت وجهها لله، وبايعت النبي ﷺ، وهاجرت مع زوجها إلى أرض الحبشة الهجرتين الأولى والثانية.

ويروى أنها لما أقدمت على الهجرة مع زوجها عبد الله بن عامر ابن ربيعة، وتوجهها معاً صوب الجنوب نحو الحبشة، قابلهما عمر بن الخطاب -وذلك قبل أن يُسلم- فقال لهما: إنه الانطلاق يا أم عبد الله، فقالت له بلا خوف ولا تردد: نعم والله لنخرجن في أرض الله، أذيتمونا وقهرتمونا؛ حتى يجعل الله لنا مخرجاً. فقال عمر: صحبكم الله، ثم انصرف، فقالت لزوجها: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا! قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: نعم، قال: فلا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حمأُ الخطاب [ابن حجر في الإصابة]! قال أبو عبد الله ذلك؛ لما كان يرى في عمر وغيره من المشركين من الغلظة تجاه المسلمين الجدد، لكن الله -سبحانه وتعالى- يهدي من يشاء من عباده إلى الإسلام ونوره. ويتزعمهم من شركاء الظلمة والكفر، وأسلم عمر بن الخطاب وأصبح يغار على الإسلام والمسلمين وكرّس حياته في خدمة هذا الدين. و ذات مرة سمعها رسول الله ﷺ تنادى ابنها عبد الله بن عامر وهو طفل فقالت: هاك، تعال أعطيك. فقال لها النبي ﷺ: "وما أردت أن تعطيه؟".

قالت : أعطيه تمرًا. فقال النبي ﷺ: "أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة" [أبو داود وأحمد].

وهكذا كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه، ولا سيما أمام الأطفال؛ لكي تنشأ عندهم الأخلاق الإسلامية السامية، فأعطى للمرأة درسًا في معاملة أولادها بالصدق، وهكذا كانت نموذجًا للمسلمة الصادقة مع أولادها.

إنها ليلي بنت أبي حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله سيدة من نساء الإسلام الخالدات اللاتي تحملن من أجله كل مكروه كي ترتفع رايته، ويسعد بظله كل إنسان على ظهر الأرض لما فيه من نجاه وسعادة، فقد هاجرت ليلي مع زوجها تاركة دارها ومالها وبلدها، وفضلت ما عند الله على ما عند البشر.



الشهيدة الحية أم ورقة



قالت للنبي ﷺ عند الخروج إلى بدر: يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك، أُمَرِّضُ مرضاكم؛ لعل الله أن يرزقني شهادة. فقال لها ﷺ: "قري في بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة" [أبو داود].

وتلك نبوءة نبأ بها رسول الله ﷺ العليمُ الخبير، فعُرفت بعد ذلك رضي الله عنها بالشهيدة.

أسلمت وحسن إسلامها، وكانت تحافظ على الصلاة، ودروس العلم، وحفظ القرآن الكريم، وتحرص على جمع آياته، وكان ﷺ يقصدها في زيارته لبيوت الأنصار، ويطمئن على صحتها وحالها. ورغم ما يُروى عن ثراء بيتها إلا أنها كانت تفيض حباً للناس وتواضعاً.

وما إن أمرها النبي ﷺ بأن تظل في بيتها - حين سأله الخروج للجهاد - حتى بادرت بالطاعة وحسن الاستماع لكلامه.

وقد اشتهرت أم ورقة بالعبادة والزهد وتلاوة القرآن، وكانت قد استأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذناً، فأذن لها، وأمرها أن تؤم أهل دارها وتصلي بهم، فكانت تؤم المؤمنات المهاجرات [أبو داود]، وكان ﷺ حين

يريد أن يزورها يقول لأصحابه - رضي الله عنهم -: "انطلقوا بنا نزور الشهيدة" [ابن عبد البر في الاستيعاب]

كانت مرجعاً أميناً، عاد إليه الخليفة أبو بكر الصديق عند جمعه القرآن الكريم من البيوت وصدور الحفظه.

ولما كان رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فكان لابد من وقوع ما أخبر به، ففي خلافة الفاروق عمر - رضي الله عنه - كان لدى أم ورقة جارية و غلام يقومان بخدمتها، فأحسن إليهما، غير أنه لم يكن منهما سوى الغدر والخيانة؛ فقاما في الليل فقتلاها ثم هربا. فلما أصبح عمر قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة، فدخل الدار فلم ير شيئاً، فدخل البيت (مكان الصلاة)، فإذا هي ملفوفة في جانب البيت فأرسل في طلب العبدین الهارين، فصُلبا في المدينة على ما ارتكباه من الإثم، فكانا أول مصلوبين في المدينة. فكان عمر بن الخطاب يقول: صدق رسول الله ﷺ حين قال: "انطلقوا بنا نزور الشهيدة" [ابن عبد البر].

إنها "أم ورقة" بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية ويقال لها: أم ورقة بنت نوفل .



صاحبة الحديقة عاتكة بنت زيد



أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلمت وهاجرت وعُرفت بالجمال والكمال خُلُقًا وخلُقًا وعقلًا ورأيًا. تزوجت أربعة من الصحابة، استشهدوا جميعًا في سبيل الله حتى إن عبد الله بن عمر كان يخبر أنه من أراد أن يموت شهيدًا فليتزوجها، إنها الصحابية الجليلة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية.

تزوجت من عبد الله بن أبي بكر الصديق، فشغلته يومًا عن الصلاة والتجارة والمعاش فأمره أبو بكر أن يطلقها، فطلقها عبد الله تطلقه، فتحولت إلى ناحية، فبينما أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمعه يذكرها بقوله:

لَهَا خُلُقٌ جَزْلٌ وَرَأْيٌ وَمَنْطِقٌ وَخُلُقٌ مَصُونٌ فِي حَيَاءٍ وَمُصَدِّقٌ
فَلَمْ أَرِ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ تُطَلِّقُ

فجاء إليه ورَّقَ له، فقال: يا عبد الله، راجع عاتكة، فقال: أشهدك أنني قد راجعتها، وأعتق غلامًا له اسمه "أيمن" لوجه الله تعالى، وأعطى عاتكة حديقة له حين راجعها على أن لا تتزوج بعده، فلما كان يوم الطائف أصابه سهم، فمات منه فأنشأت تقول:

فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرَا
إِذَا شُعَّتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا

فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا

ثم خطبها عمر بن الخطاب فقالت: قد كان أعطاني حديقة على أن لا أتزوج بعده، قال: فاستفتي، فاستفتت على بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: رُدِّي الحديقة على أهله وتزوجي. فتزوجت عمر، فلما استشهد عمر -رضي الله عنه- وانقضت عِدَّتُها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها، وقال لها: يا عاتكة، لا تخرجي إلى المسجد، فقالت له: يا بن العوام، أتريد أن أدع لغيرتك مُصَلِّي، صَلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر؟ قال: فإني لا أمنعك. فلما قُتل الزبير قالت فيه شعراً ترثيه، فلما انقضت عِدَّتُها تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، فاستشهد -أيضاً- فكانت أول من رفع خده عن التراب، وقالت ترثيه:

وَحُسَيْنًا فَلَا نَسِيْتُ حُسَيْنًا أَقْصَدْتُهُ أَسِنَّةَ الْأَعْدَاءِ
غَادَرُوهُ بِكَرْبَلَاءَ صَرِيحًا جَادَتِ الْمُزْنَ فِي ذُرَى كَرْبَلَاءِ

ثم تأيمت، ويقال: إن مروان خطبها بعد الحسين -عليه السلام- فامتنعت عليه، وقالت: ما كنت لأتخذ حمي بعد ابن رسول الله ﷺ وتوفيت -رحمها الله- سنة أربعين من الهجرة.

الكريمة بنت الكريم سفانة بنت حاتم الطائي



كان أبوها مضرب الأمثال في الكرم في الجاهلية، فلما ظهر الإسلام وانتشرت الفتوح، غزت خيلُ رسول الله ﷺ قبيلتها "طَيِّئ"، وأخذوها بين مَنْ أخذوا من السبايا. وكانت امرأةً بليغة عاقلة، مرَّ عليها النبي ﷺ فقالت له: يا رسول الله! ائْمَنْ عَليَّ، مَنْ الله عليك، فقد هلك الوالد، وغاب الوافد (تَنَصَّرَ أخوها وفرَّ حتى كان قريباً من أرض الروم، وكان ذلك قبل أن يُسلم ويَحْسُنَ إسلامه) ولا تُشَمِّتْ بى أحياء العرب، فإني بنتُ سيد قومي، كان أبى يفك الأسير ويحمي الضعيف، ويَقْرِى (يكرم) الضيف، ويشبع الجائع، ويفرِّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم الطائي.

فقال لها رسول الله ﷺ: "يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه". ثم قال لأصحابه: "خلوا عنها، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق". ثم قال لها: "فلا تعجلي حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك، ثم أذنيني" [ابن هشام].

فلما قدم ركب من أهلها، أرادت الخروج معهم، وذهبت إلى رسول الله ﷺ تستأذنه، فأذن لها وكساها من أحسن ما عنده من الثياب، وجعل لها ما تركبه، وأعطاهها نفقة تكفيها مؤنة السفر وزيادة.

ثم قدمت على أخيها -عدي بن حاتم- وكان أكبر منها سنًا، وأرادت أن تدعوه إلى الإسلام، وتدله على الخير، بعدما رأت من النبي ﷺ وأصحابه ما رأت، وعلمت عن الإسلام وفضائله ما علمت، فسألها أخوها: ما ترين في هذا الرجل؟ فانتهزتها فرصة، وهي الفصيحة العاقلة، تقدم الدين الجديد لأخيها وتدعوه، وتعرفه برسول الله ﷺ في أسلوب حكيم، وعرض مؤثّر، وسبيل مقنع، قالت: أرى أن تلحق به، فإن يكن الرجل نبيًا فاتبعه؛ فللسابق إليه فضله، وإن يكن غير ذلك لم يُخَفْ عليك، وأنت من أنت عقلا وبصيرة، وإنني قد أسلمت. فقال عدي: والله إن هذا هو الرأي السليم. وخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، فدخل عليه وهو في مسجده، فأسلم وحده الله. ونالت أخته بذلك ثواب هدايته إلى دين الحق.

إنها الصحابية الجليلة سفانة بنت حاتم الطائي وأبوها أشهر كرماء العرب الجاهليين، حتى ضرب به المثل في الكرم.

اشتهرت سفانة بالكرم والسخاء مثل أبيها حاتم الطائي، فقد كان أبوها يُعطيها من إبله ما بين العشرة إلى الأربعين، فتهبها وتُعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية! إنَّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي، وإما أن أُمسك وتعطي، فإنه لا يَبْقَى على هذا شيء. فقالت: والله لا أُمسك أبدًا. وقال أبوها: وأنا والله لا أُمسك أبدًا. قالت: فلا نتجاوز. فقاسمها ماله وتباينا.

فعاشت -رضي الله عنها- مثالا للكرم، ورجاحة العقل، وحسن الخلق.



الشاعرة أم الشهداء (الخنساء)



أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أعلم بالشعر منها، وكان النبي ﷺ يستنشدُها، ويعجبه شعرها. وكان أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها: صخر، ومعاوية، وكانا قد قُتلا في الجاهلية.

عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام، فأسلمت، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم.

اشتهرت بإيمانها العظيم بالله ورسوله، وجهادها في سبيل نصرته الحق؛ فقد شهدت معركة القادسية سنة ست عشرة للهجرة ومعها أولادها الأربعة. قالت لهم في أول الليل: يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكُم، ولا هَجَنْتُ حَسْبَكُمْ، ولا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية؛ يقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شَمَّرت عن ساقها، واضطربت لظى على سياقها، وجُلِّلَتْ ناراً على أرواقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا

رئيسها عند احتدام خميسها (جيشها)، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدموا فقاتلوا وهم يرتجزون، وأبلوا بلاءً حسناً، واستشهدوا جميعاً. فلما بلغها خبرهم، قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

فكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يعطى لها أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتا درهم، حتى قبض.

إنها الخنساء المؤمنة القوية التي حوّل الإسلام حياتها، وصنع الإيثار منها نموذجاً جديراً بأن يحتذى، فهاهي ذى في الجاهلية قالت حين قُتل أخوها صخر:

ألا يا صخرُ لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وفي الإسلام، تضحى بفلذات كبدها في سبيل الله. ولا عجب في الأمر، فهذا هو حال الإسلام دائماً مع معتنقيه ومحبيه، يحيل حياتهم إلى فضائل، ويغرس فيهم الصبر والإيمان، ويعينهم على التسامى على الشدائد والمحن.

و ذات مرة دخلت الخنساء على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنه- وعليها صدار (ثوب يغطي به الصدر) من شعر.

فقالت لها: يا خنساء! هذا نهى رسول الله عنه.

فقالت: ما علمت، ولكن هذا له قصة؛ زوجني أبى رجلاً مُبَدَّرًا، فأذهب ماله، فأتيت إلى صخر، فقسم ماله شطرين، فأعطاني شطرًا خيارًا، ثم فعل زوجي ذلك مرة أخرى، فقسم أخى ماله شطرين، فأعطاني خيرهما، فقالت له امرأته: أما ترضى أن تعطيهما النصف حتى تعطيهما الخيار؟ فقال:

والله لا أمنحها شرارها — هي التي أرحض عني عارها

ولو هلكتُ خرقَت خمارها — واتخذت من شعر صدرها

اسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد بن الحارث السُّلمية، ولُقبت بالخنساء لِقِنْوِ (لارتفاع وسط قصبة الأنف وضيق المنخر) في أنفها. وكانت -رضي الله عنها- مثالا للمرأة المسلمة الفصيحة، والمؤمنة المحتسبة الصابرة، والمربية الفاضلة.



امرأة في الظل هند بنت عتبة



قالت وهي تذكر أيامها الماضية: "لقد كنت أرى في النوم أنى في الشمس أبداً قائمة، والظل منى قريب لا أقدر عليه، فلما أسلمتُ رأيتُ كأنى دخلت الظل، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام". بهذه الكلمات الطيبة أرّخت هند بنت عتبة لحياتها.

لقد أسلمت يوم فتح مكة بعد أن أسلم زوجها أبو سفيان، ويروى ابنها معاوية - رضي الله عنهم - قصة إسلامها، فيقول: سمعتُ أمى هند بنت عتبة، وهي تذكرُ رسول الله ﷺ وتقول: فعلتُ يوم أُحُد ما فعلتُ من المثلة بعمّه وأصحابه (أى تقطيع جثثهم بعد موتهم). كلما سارت قريش مسيراً فأنا معها بنفسى، حتى رأيتُ في النوم ثلاث ليال كأنى في ظلمة لا أبصر سهلاً ولا جبلاً، وأرى تلك الظلمة قد انفرجت عني بضوء مكانه، فإذا رسول الله ﷺ يدعوني.

ثم رأيتُ في الليلة الثانية كأنى على طريق، فإذا بهُبل (أعظم أصنام قريش) عن يمينى يدعونى، وإذا إساف (أحد أصنام قريش، كانت تنحر عنده الذبائح) يدعونى عن يساري، وإذا برسول الله ﷺ بين يدي، يقول: "تعالى، هلمى إلى الطريق".

ثم رأيت في الليلة الثالثة كأني واقفة على شفير جهنم، يريدون أن يدفعوني فيها، وإذا أنا بهبل يقول: ادخلي فيها. فالتفتُ، فإذا رسول الله ﷺ من ورائي، أخذ بشابي، فتباعدتُ عن شفير جهنم، وفزعت فقلت: هذا شيء قد بُيِّن لي، فعدوتُ إلى صنم في بيتنا، فجعلت أضربه وأقول: طالما كنت منك في غرور! وأتيت رسول الله ﷺ، وأسلمتُ وبايعته.

وقبل أن تذهب هند لتبايع النبي ﷺ أتت زوجها أبا سفيان، وقالت له: إنما أريد أن أتبع محمدًا. فقال: قد رأيتك تكرهين هذا الحديث أمس. قالت: إني والله ما رأيت أن عبد الله حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا. قال: فإنك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي مع رجل من قومك.

فذهبت إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فذهب معها، واستأذن له النبي ﷺ مع بعض النسوة اللاتي ذهبن إلى رسول الله ﷺ وكان جالسًا على الصفا ومعه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

فقال لمن النبي ﷺ: "أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا". فرفعت هند رأسها، وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيتك أخذته على الرجال، وقد أعطيناك.

فقال النبي ﷺ: "ولا تسرقن". فقالت: والله إني لأصبت من مال أبي سفيان هنات (بعض المال القليل)، فما أدري أيحلُّهنَّ لي أم لا. فقال أبو سفيان: نعم، ما أصبت من شيء فيما مضى فهو لك حلال.

فقال رسول الله ﷺ: "وإنك لهند بنت عتبة؟". قالت: نعم، فاعف عما سلف؛ عفا الله عنك.

قال: "ولا تزني". قالت: فهل تزني الحرّة؟!!

ثم قال: "ولا تقتلن أولادك". قالت: قد ربيناهم صغارًا وقتلتهم ببدن كبارًا. فتبسم عمر -رضي الله عنه- ضاحكًا من قولها، (ويقال: إن النبي ﷺ ضحك من قولها أيضًا). ثم قال النبي ﷺ: "قتلهم الله يا هند". ثم تلا قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

ثم قال: "ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن" (والبهتان أن تدخل المرأة ولدًا من غير زوجها، على زوجها، وتقول له: هو منك، وليس منه). قالت: والله إن البهتان لشيء قبيح، وما أمرتنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق.

قال: "ولا تعصينني في معروف". فقالت: ما جلسنا في هذا المجلس، ونحن نحب أن نعصى الله ورسوله في شيء؟

فأقر النساء بما أخذ عليهن، فأمر النبي ﷺ عمر -رضي الله عنه- فبايعهن، واستغفر لهن النبي ﷺ على ما كان منهن قبل ذلك. فذلك قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].

ولما أسلمت هند أرسلت إلى رسول الله ﷺ بهدية مع جاريتها، فجاءت تلك الجارية إلى خيمة رسول الله ﷺ بالأبطح، فسلمت، واستأذنت فأذن لها. فدخلت على النبي ﷺ وهو بين نسائه: أم سلمة، وميمونة، ونساء من

نساء بني عبد المطلب، فقالت: إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية وهي معتذرة إليك، وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة، وكانت الهدية جديين مشويين.

فقال رسول الله ﷺ: "بارك الله لكم في غنمكم، وأكثر ولادتها".

فرجعت إليها خادمتها فأخبرتها بدعاء رسول الله ﷺ، فسرت هند بذلك، فكانت مولاتها تقول: لقد رأينا من كثرة غنمنا وولادتها ما لم نكن نرى قبلاً ولا قريب، فتقول هند: هذا هو دعاء رسول الله ﷺ وبركته.

هذه هي أخلاق هند في إسلامها بعد أن فتح الله قلبها للإيمان من بعد أن أغلقه الكفر، وجمده الشرك، فجعلها تمثل بسيد الشهداء -حمزة بن عبد المطلب- ثأراً منه لأنه قتل يوم أحد أباه عتبة وعمها شيبة، وكانا كافرين. إنها جاءت يوم أحد مع جيش المشركين، وقد نذرت لئن قدرت على حمزة لتأكلن من كبده، فلما استشهد حمزة -رضي الله عنه- أمسكت بقطعة من كبده، وأخذت تمضغها لتأكلها فلم تستطع أن تبتلعها فلفظتها. وسميت لذلك "أكالة الأكباد".

وقد حاولت هند أن تكفر عما سبق منها أيام الجاهلية، فاشتركت في الجهاد ضد أعداء الله في موقعة اليرموك، وروت عن النبي ﷺ، وروى عنها ابنها معاوية، والسيدة عائشة أم المؤمنين.

هذه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي، وأُمها صفية بنت أمية بن حارثة بن مرة.



ومن الأحاديث التي روتها، أنها أتت النبي ﷺ، فقالت: إن أبا سفيان شحيح، وإنه لا يعطيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فهل على في ذلك حرج؟ فقال النبي ﷺ: "خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف" [متفق عليه].

قاتلة السبعة أم حكيم



كانت يوم أحد حرباً على الإسلام والمسلمين، وكانت يوم اليرموك حرباً على الكفر والكافرين.. أسلمت يوم فتح مكة ولم يسلم زوجها "عكرمة بن أبي جهل" وخرج من مكة، وذهب إلى اليمن بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه، فجعلت تغدو إلى النبي ﷺ وتطلب منه الأمان لزوجها، فرق النبي ﷺ لخالها، وأذن لها أن تدركه تبشره بالعفو، فخرجت في أثره وأدركته عند ساحل من سواحل تهامة وقد همَّ بركوب البحر، فدمعت عينها وأخذت تقول له: يا ابن العم جئتك من أوصل الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك رسول الله ﷺ فأمنك. فقال: أنت فعلت ذلك؟ قالت: نعم، فقد كلمته فأمنك. فرجع معها "عكرمة"، وأتيا النبي ﷺ، فلما انتهيا إلى باب المسجد أسرع الخطأ ودخلت، واستأذنت النبي ﷺ فأذن، فتقدم "عكرمة" فبايع النبي ﷺ على الإسلام وعلى الجهاد.

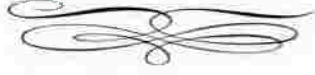
إنها أم حكيم بنت الحارث -رضي الله عنها-، ذات الوفاء النادر للزوج، والمعرفة الصحيحة بملكاته. فأحبت له الخير، وسعت بينه وبين رسول الله ﷺ تستأمن له، فأمنه رسول الله ﷺ.

وبذلك كانت سبباً في إسلام زوجها، فحسن إسلامه، وجاهد في الله حتى رزقه الله الشهادة في موقعة أجنادين.

تزوجت السيدة أم حكيم -رضي الله عنها- بعد ذلك الصحابي الجليل خالد بن سعيد بن العاص -رضي الله عنه- وقبل أن يدخل بها نادى منادى الجهاد أن استعدوا لقتال الروم ولكن فراسة خالد حدثته أنه مقتول غداً -وفراسة المؤمن لا تخطئ، فإنه يرى بنور الله- فعرض على امرأته أن يدخل بها فقالت: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع. فقال: إن نفسى تحدثنى أنى أقتل. قالت: فدونك. فأعرس بها عند القنطرة التي عُرِفَتْ بعد ذلك بقنطرة أم حكيم، ثم أصبح فأولموا عليهما. فما فرغوا من الطعام حتى وافتهم الروم، ووقع القتال فاستشهد خالد أمام عينيها، فشَدَّتْ أم حكيم عليها ثيابها وخرجت إلى القتال؛ انتصاراً للدين وانتقاماً لمقتل زوجها عكرمة وخالد وقتلى المسلمين، واستطاعت أن تقتل بعمود الخيمة التي بني بها خالد فيها سبعة من الروم، ثم واصلت كفاحها، فسَطَّرَ التاريخ حياتها بأحرف من نور، فرضي الله عنها وأرضاها.



امراة من أهل الجنة أم زمر



قال ابن عباس لعطاء: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقال عطاء: بلي. قال ابن عباس: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني أتكشّف فادع الله لي. فقال النبي ﷺ: "إن شئتِ صبرت ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله أن يعافيك" فقالت: أصبر، وقالت: إني أتكشّف، فادع الله لي ألا أتكشّف، فدعا لها النبي ﷺ [متفق عليه]، فحقق الله رجاءها، فكانت نوبة الصرع لا تتابها إلا وهي نائمة متمكنة، فلا تتكشّف.

إنها الصحابية الجليلة سَعِيدَةُ الْأَسَدِيَّة، من الحبشة، عرفت بأُم زُفَر -رضي الله عنها-. كانت ترعى حق الله في نفسها، وتحرص على تعاليم دينها، ومع أنها كانت مريضة بالصرع فإنها لم تياس أبداً من رحمة الله -سبحانه-، فهي تصبر على ما أصابها وتعلم أن ذلك من عزم الأمور، وأنه ما من شيء يُبْتَلَى به المؤمن الصابر إلا كان في ميزان حسناته يوم القيامة، وفي ابتلاء الله للإنسان حكمة عظيمة يريد الله بها تنقيته من الذنوب.

لذا آثرت الآخرة على الدنيا؛ لأن ما عند الله خير وأبقى، حين خُيِّرَت بين الدعاء لها بالشفاء وبين الجنة؛ فاختارت الجنة، ولكنها طلبت من رسول الله ﷺ ألا تتكشّف؛ لأنها ربيت في مدرسة العفة والطهارة؛ مدرسة الرسول

ﷺ، وراعت حق الله - تبارك وتعالى - حين قال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وكان رسول الله ﷺ يشنى عليها، فرضي الله عنها وأرضاها.



أخت النبي الشيما



كانت تلاعب النبي ﷺ وهو صغير، وتقول له:

يَا رَبَّنَا أَبْقِ لَنَا مُحَمَّدًا حَتَّىٰ أَرَاهُ يَافِغًا وَأَمْرَدًا
ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّدًا مُّسَوَّدًا وَانْكِبْتُ أَعَادِيهِ مَعًا وَالْحُسَّدَا
وَأَعْطِيهِ عِزًّا يَدُومُ أَبَدًا

وكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها!

إنها الشيما "حذافة بنت الحارث" -رضي الله عنها- أخت النبي ﷺ من الرضاعة... وحاضنته مع أمها حليلة السعدية -رضي الله عنها-.

أحبت الشيما أخاها رسول الله ﷺ، وتابعت أخباره أولاً بأول، وسمعت بدعوته حين بُعث فصدقته وناصرته. رأت في دعوته السلام والأمن والحب والتسامح والإخاء...

ولما أغارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن (قبيلة الشيما)، وهزم بنو سعد، كانت فيمن أخذ من السبي، وكانت قد كبر سنّها، وضعف جسمها وتغيرت ملامحها كثيراً، فقالت لمن أسرها من المسلمين: أنا أخت صاحبكم. فلما قدموا بها، قالت: يا محمد! أنا أختك. وعرفته بعلامة عرفها، فرحب بها

وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، ودمعت عيناه، فقال لها: "إن أحبيت أن ترجعي إلى قومك أوصلتُك، وإن أحبيت فأقيمى مكرمة محبة". فقالت: بل أرجع. فأسلمت وأعطاه النبي ﷺ نَعْمًا، وغلامًا، وجارية؛ إكرامًا لها [ابن هشام].

ولما توفي رسول الله ارتد قومها (بنو سعد) عن الإسلام، فوقفت موقفًا شجاعًا، تدافع عن الإسلام بكل جهدها؛ حتى أذهب الله الفتنة عن قومها. وكانت -رضي الله عنها- كثيرة العبادة والتسكُّ، واشتهرت بشعرها الذي ناصرت فيه الإسلام ورسوله، وظلت تساند المسلمين وتشد من أزهم حتى أتاها اليقين، فرضي الله عنها.



العفيفة مسيكة التائبة

كانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول -رأس النفاق في المدينة-، فأسلمت وبايعت النبي ﷺ على ألا تشرك بالله شيئاً، ولا تسرق ولا تزني ولا تقتل أولادها، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديها ورجليها، ولا تعصيه في معروف. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وكان البغاء من عادات الجاهلية المرذولة، حيث كان الرجل يدفع بجواريه وإمائته إلى راغبي المتعة ومبتاعي الرذيلة رجاء الكسب وابتغاء المال. وذات يوم أراد عبد الله بن أبي أن يدفع بجاريته المسلمة إلى تلك السبيل المرذولة، لكن المسلمة العفيفة رفضت ذلك، وذهبت إلى رسول الله ﷺ تشكو إليه حالها، فاستمع إليها وقدّر فيها عفتها، وحمد إليها صبرها.

ثم ما لبث أن نزل عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٣-٣٤].

فأبطل الإسلام هذا الأمر من أمر الجاهلية، وحمى النساء - حرائر وإماء - من أن يكرههن أحد على البغاء.

وهكذا أسهمت هذه الصحابية الجليلة، "مُسَيِّكَة" التائبة، في تثبيت دعائم الفضيلة وصناعة مجتمع عفيف برفضها أن تكون أداة طيعة في أيدي العابثين والماجنين من أصحاب النفوس الدنيئة والأخلاق المتردية، وصارت بذلك رمزاً للعفة والطهر، ومثلاً لنظافة النفس ونقاء الطوية، ويكفيها عزاً وفخراً أن ينزل في شأنها قرآن يتلى إلى يوم القيامة.. رضي الله عن العفاف والطاهرات وعن السيدة مُسَيِّكَة.



الطبيبة المداوية الشفاء بنت عبد الله



قالت: أتيتُ النبي ﷺ أسأله (أي: تطلب منه شيئاً)، فجعل يعتذر إلى (حيث لم يكن عنده ما يعطيه)، وأنا ألومه (لأنها لا تعرف السبب)، فحضرت الصلاة فخرجتُ، فدخلتُ على ابنتي - وكانت عند زوجها شرحبيل بن حسنة - فجعلت أقول له: قد حضرت الصلاة وأنت في البيت؟ وجعلتُ ألومه، فقال: يا خالتي لا تلوميني، فإنه كان لنا ثوبٌ، فاستعاره رسول الله ﷺ. فقلت: بأبي وأمي، إنى كنت ألومه وهذا حاله ولا أشعر. قال شرحبيل: وما كان هذا الثوب إلا درعاً رقعناه. [أبو نعيم].

كانت تمتلك سمات رفيعة، يندر وجودها لدى النساء في عصرها، وكانت مثقفة متعلمة، تخصصت في معالجة الأبدان.

أسلمت قبل الهجرة، وكانت تُرقى في الجاهلية، فلما هاجرت إلى المدينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنى كنت أرقى برقى في الجاهلية، وأردت أن أعرضها عليك. فقال ﷺ: "اعرضيها". قالت: فعرضتها عليه، وكانت رقية من لدغة النملة، وهي قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد. فقال: "ارقي بها وعلميها حفصة" [ابن مندة وأبو نعيم].

وكان لها دور بارز في مجال التعليم ومعالجة القروح والأمراض؛ لذا خصص لها رسول الله ﷺ داراً بالمدينة تقديراً لدورها الاجتماعي، وكانت

تعيش فيها هي وابنها سليمان، وأصبحت تلك الدار مركزاً علمياً للنساء، تعلمت فيها الكثيرات من نساء المؤمنين تعاليم الدين، بالإضافة إلى القراءة والكتابة والطب، وكان من بين المتعلّمات السيدة حفصة زوج الرسول ﷺ.

وحرص خلفاء المسلمين بعد رسول الله ﷺ على احترام مكانة الشفاء وتقديرها، فقد روى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يقدمها في الرأي، ويقبل نصائحها، ويقدم لها ما تحتاجه من عون وبر.

إنها الصحابية "الشفاء بنت عبد الله القرشي العدوي"، وأمها فاطمة بنت وهب بن عمر المخزومية، وقيل اسمها ليلى لكن غلب عليها لقب "الشفاء". وقد روت "الشفاء" رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وروى عنها كثيرون.

وتوفيت -رضي الله عنها- سنة عشرين للهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.



الطاهرة زينب بنت علي



من أقوالها: "من أراد أن يكون الخلق شفعاء إلى الله فليحمده.. ألم تسمع قولهم: سمع الله لمن حمده.. فخف الله لقدرته عليك! واستح منه لقربه منك". لُقبت بالطاهرة لطهارة سريرتها ونسبها، فقد وُلدت في السنة السادسة للهجرة لأبوين شريفين؛ فأبوها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وأمها السيدة "فاطمة الزهراء" بنت رسول الله ﷺ - رضي الله عنها - وإخوتها: "الحسن" و"الحسين" و"أم كلثوم" .. إنها السيدة زينب.

تزوجت "عبد الله بن جعفر بن أبي طالب"، وأنجبت له ستة أولاد، منهم: "علي" و"محمد" و"عون"، و"عباس"، و"أم كلثوم".

أدركت السيدة زينب جدها النبي ﷺ في طفولتها فحملها بين يديه، ونعمت برؤيته المباركة.

نشأت في بيت علم ودين، وشهدت اتساع دولة الإسلام في عهد جدها عليه الصلاة والسلام، ثم في عهد "أبي بكر" و"عمر" و"عثمان" وأبيها "علي" -رضوان الله عليهم أجمعين-.

عاشت السيدة "زينب" أحداث الفتن التي وقعت في صفوف المسلمين، فقد احتضنت أباهما حين قُتل، ورحلت مع أخيها "الحسين" إلى الكوفة، وشهدت يوم كربلاء وكان أشد الأيام عليها حزنًا وألمًا.

ففي هذا اليوم - وهو يوم العاشر من شهر المحرم سنة ٦١ من الهجرة - كانت مع أخيها الحسين تحت الحصار الذي فرضه عليهم "عبيد الله بن زياد" والى الكوفة، وفي أثناء الليل قال لها أخوها "الحسين": يا زينب إنى رأيت رسول الله ﷺ في المنام؛ فقال لي: "إنك تروح إلينا". فاضطربت "زينب" وأدركت أن ذلك يعنى أن الحسين قد حان أجله؛ فقالت: يا ويلتاه. فقال لها "الحسين": ليس لك الويل يا أُخِيَّة! اسكتي يرحمك الله. فاغرو رقت عينها بالدموع وقالت: واثكلاه؛ ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم؛ ماتت "فاطمة" أُمى، و"علي" أبي، و"حسن" أخي، فنظر إليها الحسين بعطف وشفقة وقال: يا أُخِيَّة، لا يذهبن حلمك الشيطان. فقالت "زينب": بأبى أنت وأُمى يا أبا عبد الله، جعلت نفسي فداك، فقال: يا أُخِيَّة، اتقى الله، تعزى بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد واحد؛ أبى خير مني، وأُمى خير مني، وأخى خير مني، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله ﷺ أسوة. فعزاها بهذا وبمثله، وقال: يا أُخِيَّة، إنى أقسم عليك فأبرى قسمي، لا تشقى على جيبًا، ولا تخمشى على وجهًا، ولا تدعى على بالويل والثبور إذا أنا هلكت. وبالفعل استشهد الحسين - رضى الله عنه - واستشهد معه ولداها "محمد" و"عون" وآخرون من أهل بيتها. فجعلت "زينب" تنظر إلى جثثهم، وتجمع أشلاءهم يشاركها في ذلك من بقى معها من النساء

والأطفال ودموعها لا تنقطع، وقلبها يكاد ينفطر من شدة الحزن والألم.. وحين أخذوها ومن معها إلى قصر ابن زياد بالكوفة، ومرت على جثة أخيها "الحسين" هاجت أشجانها وأحزانها وأخذت تنادي: "يا محمداه.. يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مُزَمَّلٌ بالدماء، مقطوع الأعضاء.. يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة". فأبكت كل عدو وصديق.

ولما وصلوا الكوفة، أدخلوا زينب وأهلها على ابن زياد وإلى الكوفة وقتئذٍ، فلما رآها قال لها: الحمد لله الذي فضحككم، كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ فانتفضت قائلة: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، وإنما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، والذين قتلهم رجال كُتب عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده. فغضب ابن زياد وأمر بقتل علي بن الحسين وكان صبيّاً صغيراً. فأسرعت عمته زينب، واحتضنته وقالت: حسبك يا بن زياد منّا، أما يكفيك ما رويت من دماننا، وهل أبقيت منّا أحداً؟ أسألك بالله إن كنت مؤمناً، إن قتلته اقتلني معه. فقال ابن زياد: عجباً للرحم! والله إنني لأظنها ودّت لو أني قتلتها معه؛ وصاح: دعوا الغلام مع نسائه.

ثم انطلقت جنود ابن زياد بالسيدة زينب ومن معها إلى دمشق مقر خلافة يزيد بن معاوية، فلما دخلوا على "يزيد" في قصره، بكت نساء آل هاشم إلا زينب، فقد قالت: صدق الله يا يزيد: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠]. أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نُساق كما تساق الأساري،

أن بنا هواناً على الله وأن بك عليه كرامة؟ وتوهمت أن هذا لعظيم خطرِكَ، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفيك، جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوثقة لك والأمور متسقة عليك؟ إن الله إن أمهلك، فهو قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. والله ما فريت إلا في جلدك، ولا حززت إلا في لحمك! وستردي على رسول الله ﷺ وآله برغمك، ولتجدن عترته ولحمته من حوله في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم من الشعث ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وستعلم أنت ومن بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين - إذا كان الحكم ربنا، والخصم جدنا، وجوارحك شاهدة عليك - أيُّنا شر مكاناً وأضعف جنداً. فوالله ما اتقيتُ غير الله، وما شكوت إلا لله، فكِد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك".

فكان لهذه الكلمات وقع الصاعقة على يزيد، حيث صعب عليه الأمر فتأب إلى الله، وقيل إنه قال للصبى "على بن الحسين" حين دعاه مودعاً: لعن الله ابن مرجانة - يقصد عبيد الله بن زياد - أما والله لو أنى صاحب أيبك ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت. ثم قال يزيد: "يا نعمان بن بشير" جهزهم بما يصلح، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً، وابعث معهم خيلاً وأعواناً فيسيرون إلى المدينة. ثم كساهم وأوصى بهم الشامي، فما زال ذلك الشامي يلطف بهم حتى دخلوا المدينة.

فقالت فاطمة لأختها "زينب": يا أختي لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل لك أن نكافئه؟ فقالت زينب: والله ما معنا شيء نكافئه به إلا حُلينا. قالت فاطمة: فنعطيه حُلينا.

فأخذت "زينب" سوارها وبعض حليها، وأخذت أختها "فاطمة" سوارها، وبعثتا بذلك إليه، واعتذرتا إليه، وقالت له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل. فقال الشامي: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حُلِيَّكُنَّ ما يُرضيني، ولكن والله ما فعلته إل الله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

أخذت "زينب" بعد ذلك تحكى لأهل المدينة ما فعل بهم وما تعرضوا له، فخشى "يزيد" أن تؤلب عليه الناس، فأرسل إلى والي المدينة أمراً بأن يفرق "آل البيت" في الأقطار والأمصار. فجاء الوالي إلى السيدة "زينب" وطلب منها أن تخرج من المدينة فتقيم حيث تشاء.

فاختارت السيدة زينب أرض "مصر"، وسافرت إليها، فاستقبلها شعبها وأميرها "مسلمة بن مخلد الأنصاري" استقبالا عظيماً؛ فبقيت -رضي الله عنها- فيها حوالى عام.

وتوفيت سنة ٦٥ للهجرة ودفنت في جزء من هذه الدار، التي تحولت بعد ذلك إلى مسجد تقام فيه شعائر الصلاة؛ وهو المسجد الزينبي المشهور بالقاهرة.

وقد روت السيدة "زينب" الكثير من الأحاديث، وروى عنها، فرضي الله عنها وأرضاها.

الأديبة الكريمة سكينة بنت الحسين



جاء أهل الكوفة يعزّونها في مقتل زوجها، فقالت لهم: الله يعلم أنى أبغضكم، قتلتم جدّي عليّاً، وقتلتم أبى الحسين، وزوجى مصعباً فبأى وجه تلقونى؟ يَتَمَتُّونى صغيرة، وأرملتُمنى كبيرة.

وخرجت مع أبيها الحسين بن على إلى العراق، وعمرها آنذاك أربعة عشر عاماً، وعلى بُعد ثلاثة أميال من كربلاء ظهر جيش عدده ألف مقاتل أمر بتجهيزه عبيد الله بن زياد بأمر من يزيد بن معاوية، وكان الحسين قد خرج متوجّهاً إلى العراق في ركب قليل كانت معه ابنته، فجمع أهله وقال لهم: يا أم كلثوم وأنت يا زينب وأنت يا سكينة وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب، إذا أنا قُتِلْتُ، فلا تشقّ إحداكن على جيّاب، ولا تخمش وجهاً، ولا تُقلّ هجرًا (أى لا تقول كلاماً قبيحاً). فلما سمعت سكينة هذا الكلام أخذها البكاء، وأخذت دموعها تتساقط وهي الفتاة الرقيقة ذات الحس المرهف، التي لم تبلغ من العمر العشرين، ولكن معرفتها بأن مصير المجاهد الشهيد الجنة، كانت تخفف عنها الحزن وتلهمها الصبر، ولما اشتد القتال بين قافلة الحسين التي تجاوزت السبعين بقليل، وبين ذلك الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية حيث كان عدده في بداية الأمر ألف رجل سرعان ما طوق الجيش قافلة الحسين وفتك بها، وفي ذهولٍ وقفت سكينة تنظر إلى البقايا والأشلاء، ثم ألقت بنفسها على

ما بقي من جسد أبيها، وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة، وعانقته، ولكنهم انتزعوها من على جسد أبيها بالقوة، وألحقوها بركب السبايا، فألقت سكينه نظرة أخيرة على ساحة القتال المملوءة بجثث الشهداء. ودارت الأيام، وعادت سكينه إلى الحجاز حيث أقامت مع أمها رباب في المدينة.

إنها السيدة سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -، وأمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس.

ولم يمض وقت طويل حتى توفيت "الرباب"، وعاشت سكينه بعدها في كنف أخيها زين العابدين، وكانت قد حُطبت من قبل إلى ابن عمها عبد الله بن الحسن بن علي فقتل بالطائف قبل أن يبنى بها، فكانت - رضي الله عنها - ترفض الزواج بعد هذه الأحداث، ولما جاء مصعب بن الزبير يريد الزواج منها تزوجته، وكان شجاعاً جواداً ذا مال ومروءة حتى قيل فيه: "لو أن مصعب بن الزبير وجد أن الماء ينقص من مروءته ما شربه". وانتقلت سكينه إلى بيت مصعب وكان متزوجاً من عائشة بنت طلحة، وظلت سكينه تسعد زوجها، ولكن أين تذهب من قدرها المحتوم، فسرعان ما قُتل مصعب، ثم تزوجت عبد الله بن عثمان بن حكيم بن حزام، وأنجبت منه: عثمان، وحكيم، وربيعه، ثم مات عنها بعد ذلك، واستقر بها المقام في المدينة حيث يسجى جدها المصطفى ﷺ.

وُلدت سنة سبع وأربعين من الهجرة وسمّيت آمنة على اسم جدتها آمنة بنت وهب، ولقبته أمها الرباب سَكِينَة، واشتهرت بهذا الاسم، وفي الثلث الأخير



من حياتها اشتغلت بتعليم المسلمين، حيث شربت من بيت النبوة أفضل الأخلاق فوصفت بالكرم والجود، وأحبت سماع الشعر فكان لها في ميادين العلم والفقه والمعرفة والأدب شأن كبير.

وقد توفيت السيدة سُكينة سنة ١١٧هـ، بعد أن تجاوزت الثمانين من عمرها، فرضي الله عنها وأرضاها.



امراة لا تعرف الشر فاطمة بنت الحسين



ذُكرت عند الخليفة عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنها- فقليل عنها: إنها لا تعرف الشر. فقال عمر: عدم معرفتها الشر جنبها الشر.

كانت -رضي الله عنها- توصي أبناءها دائماً فتقول لهم: استتروا بستر الله.

إنها "فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب" -رضي الله عنهم-. تقدم ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- لعمه الحسين للخطبة، فقال له الحسين: يا بن أخي، لقد انتظرت هذا منك، انطلق معي. فخرج به حتى أدخله منزله، ثم أخرج إليه بنتيه فاطمة وسكينة، فقال: اختر، فاختر فاطمة.

فزوجه إياها؛ فولدت له: عبد الله، وإبراهيم، وحسنًا، وزينب. ولما وقعت الفتنة ورفض الحسين بن علي أن يكون أسيرًا، وقاتل حتى قُتل، وقُتل معه ابنه وأصحابه الذين ثبتوا معه بمكان يقال له: "الطَّفَّ" عند كربلاء. وانطلق بعلي بن الحسين، وأختيه فاطمة وسكينة وعمته زينب بنت علي إلى عبيد الله بن زياد، فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية، فقال علي: أما والله لو رآنا رسول الله ﷺ مغلولين لأحب أن يحلنا من الغل (القيد). قال: صدقت. فحلوهم من الغل (القيد)، قال: ولو وقفنا بين يدي رسول الله ﷺ على بُعد لأحب أن

يقربنا. قال: صدقت. فقرَّبوهم، ثم أمر بهم فجهَّزوا وأُخرجوا إلى المدينة المنورة.

وفي رواية أخرى أن فاطمة بنت الحسين جاءت إلى يزيد بعد أن قُتل أبوها الحسين بن علي، وقالت له: يا يزيد أبنا رسول الله سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمك تجدينهن قد فعلن ما فعلت.

ولما استشهد الحسن، قال لها: إنك امرأة مرغوب فيك، فكأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذا خرج بجنازتي قد جاء على فرس لابسا حلته، يسير في جانب الناس يتعرّض لك، فانكحي من شئت سواه، فإني لا أدع من الدنيا ورائي همًّا غيرك! قالت: ائمن من ذلك.

وطمأنته بالأيمان لا تتزوجه، ومات الحسن بن الحسن فلما انقضت عدتها أرسل إليها عبد الله بن عمرو يخطبها، فقالت: كيف يميني التي حلفت بها؟! فأرسل إليها يقول: مكان كل مملوك مملوك كان، ومكان كل شيء شيئا. فعوضها من يمينها، فنكحته؛ وولدت له محمداً الذي سُمى بالديباج لحسنه وجماله، والقاسم، ورقية. فكان عبد الله بن الحسن، وهو أكبر ولدها يقول: ما أبغضت بغض عبد الله بن عمرو أحداً، وما أحببت حب ابنه محمد -أخي- أحداً.

وبعد موت زوجها عبد الله بن عمرو خطبها عبد الرحمن بن الضحاك وكان حاكماً للمدينة، فرفضت، فغضب عليها، فشكته إلى رجل شامي يدعى ابن هرمز، فقالت له: تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض مني. كما أوفدت رسولا بكتاب إلى يزيد، فلما قرأه جعل يضرب بخيزران في

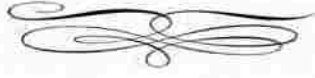
يديه ويقول: لقد اجترأ ابن الضحاك؛ هل من رجل يسمعى صوته في العذاب وأنا على فراشي؟ ف قيل له: عبد الواحد بن عبد الله بن بشر الخضري. فدعا يزيد بقرطاس فكتب بيده إلى عبد الواحد، وهو بالطائف: سلام عليك، أما بعد؛ فإنني قد وليتك المدينة فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك وأغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى تُسمعنى صوته وأنا على فراشي. فلما علم ابن الضحاك هرب ونزل على مسلمة بن عبد الملك، فقال: أنا في جوارك. فذهب مسلمة إلى يزيد في قصره وذكر حاجة جاء من أجلها. فقال يزيد: كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك ما لم يكن ابن الضحاك. فقال: هو والله ابن الضحاك. فقال: والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل. فأغرمه عبد الواحد أربعين ألف دينار وعذبه وطاف به في جبة من صوف.

وكانت فاطمة صاحبة حكمة، وراوية من راويات الحديث، ومما روته أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال: "بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي، وافتح لي أبواب رحمتك" [أبو حميد وأبو أسيد]. وإذا خرج قال: "بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك" [أبو حميد وأبو أسيد].

وكانت -رضي الله عنها- تحب العلم وتحفظ القرآن الكريم، كما كانت تحب الشعر؛ روى أنه لما دخل الكمين بيتها، قالت: هذا شاعرنا أهل البيت. وأمرت له بثلاثين ديناراً، فدمعت عيناه وقال: لا والله لا أقبلها إنني لم أحبكم للدنيا.

وتوفيت رضي الله عنها في عام ١١٠ من الهجرة.

الواعظة هجيعة بنت حبي



كانت النساء تأتي لتتعبد عندها، ويقمن الليل معها كله، فإذا ضعفن عن القيام في صلاتهن تعلقن بالحبال.

ولم تغفل عن ذكر الموت يومًا، قالت لشخص تعظه: هل تدري ما يقول الميت حين يوضع في قبره؟ يقول: يا أهلي.. يا جيراني.. يا حملة نعشي.. لا تغرنكم الدنيا كما غرتني.

وكانت سائرة ذات يوم، فمرت على مكان يسمى وادي جهنم فقالت لقائدها: اقرأ شيئًا من القرآن، فتلا قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فما إن سمعتها حتى بكت، وقالت له عندما مرت على الجبال في طريقها: أسمع الجبال ما وعدها الله، فقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧]. فأخذت تبكي بشدة.

وكانت تحث الناس على العمل وعدم الركون والتواكل؛ فتقول لهم: ما بال أحدكم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن الله لا يمطر عليه من السماء دنانير ولا دراهم، إنما يرزق الله بعضكم من بعض، فمن أعطى شيئًا فليقبله. وإن كان غنيًا؛ فليضعه في ذوى الحاجة من إخوانه، وإن كان فقيرًا؛ فليستعن به على حاجته، ولا يرد على الله رزقه الذي رزقه.

كانت معروفة بالتواضع وعدم الاغترار بالنفس؛ فسألها البعض أن تدعو لهم، فقالت: أبلغتُ أنا ذلك؟!

إنها هجيمة بنت حبي الوصابي من قبيلة حمير في دمشق، حفظت القرآن وهي صغيرة. ولقبت بأم الدرداء الصغري، تزوجت من الصحابي المشهور أبي الدرداء، وقد سمعت الحديث عن زوجها، وعن أبي هريرة، وعائشة. وكانت زاهدة فقيهة ومحدثة وتابعة، قال لها زوجها ذات مرة: إذا غضبتِ أَرْضَيْتُكِ، وإذا غضبتِ فأَرْضِينِي؛ فإنك إن لم تفعل ذلك فما أسرع أن نفترق. وقالت عند موته: اللَّهُمَّ إِنَّ أبا الدرداء خطبني إلى أبوي فتزوّجني في الدنيا، اللَّهُمَّ فَأَنَا أخطبه إليك، فأسألك أن تزوجنيه في الجنة. فقال لها زوجها: فإن أردت ذلك فكنت الأول، فلا تتزوجي بعدي. وكانت أم الدرداء ذات جمال وحسب، فخطبها معاوية فأبت، وقالت له قصتها، فقال: عليك بالصيام. ومن أقوالها: "أفضل العلم المعرفة". وقالت: "تعلموا الحكمة صغارًا تعملوا بها كبارًا". وقد طال عمرها حتى سنة ٨١ من الهجرة.



الصامدة نائلة بنت الفرافصة



عندما اشتدت المحنة على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وأُحْكِمَ عليه الحصار، صمدت معه، وتلقت عنه ضربات السيوف قبل أن تصل إليه، وما إن ألقى الرجال بحبالهم على أسوار منزله، ودخلوا عليه حتى أسرع تنشر شَعْرَهَا، فقال عثمان: خذى خمارك فإن حُرْمَةَ شَعْرِكَ، أعظم عندي من دخولهم علي.

وحين هجم عليه أحدهم وهوى عليه بسيفه تلقت السيف بيدها فقطعت أناملها، فصرخت على رباح غلام عثمان، فأسرع نحو الرجل فقتله، وبينما كانت تهرع لإمساك سيف رجل ثانٍ لكن الرجل تمكن من أن يقطع أصابع يدها الأخرى وهو يدخل السيف في بطن عثمان ليقتله، وحين هموا بقطع رأسه ألقت عليه بنفسها إلا أنهم لم يرحموا ضعفها، ولم يعرفوا لعثمان قدره، فحزوا رأسه، ومثلوا به، فصاحت والدم يسيل من أطرافها: إن أمير المؤمنين قد قُتِل. إن أمير المؤمنين قد قُتِل. ثم دخل رجل عقب مقتل عثمان، فإذا رأسه في حجرها.

فقال لها: اكشفي عن وجهه. قالت: ولم؟ قال الرجل: أَلِطَمَ حُرَّ وجهه فقد أقسمت بذلك. فقالت: أما ترضى ما قال فيه رسول الله ﷺ، قال فيه كذا وكذا. فقال: اكشفي عن وجهه. ثم هجم عليها فلطم وجه عثمان، فدعت عليه

قائلة: يَبَسَ اللهُ يدك، وأعمى بصرك. فلم يخرج الرجل من الباب إلا وقد يبست يداه، وعمى بصره.

وُتِرَتْ جثة عثمان في مكانها دون أن يجرؤ أحد على تجهيزه ودفنه، فأرسلت إلى حويطب بن عبد العزى وجبير بن مطعم، وأبى جهم بن حذيفة، وحكيم بن حزام، لِيُجَهِّزُوا عثمان، فقالوا: لا نقدر أن نخرج به نهارًا.

وحين حلّ الظلام خرجوا به بين المغرب والعشاء نحو البقيع، وهي تتقدمهم بسراج ينير لهم وحشة الظلام حتى تم دفنه بعد أن صلى عليه جبير بن مطعم وجماعة من المسلمين.

ثم قالت تربيته:

ومالي لا أبكى وأبكى قرايتي وقد ذهب عناقضول أبي عمرو

وبعد أن دُفن عثمان -رضي الله عنه- خطبت نائلة -رضي الله عنها- في المسلمين، فقالت: معاشر المؤمنين وأهل الله لا تستكثروا مقامي، ولا تستكثروا كلامي، فإني حزينة أُصِيبْتُ بعظيم وتذوقت ثكلاً من عثمان بن عفان ثالث الأركان من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد تراجع الناس في الشورى حين تقدم، فلم يتقدمه متقدم ولم يشك في فضله متأثم. ولم تكتف نائلة بذلك بل أرسلت إلى معاوية بكتاب مرفق معه قميص عثمان ممزقاً مليئاً بالدماء، وعقدت في زر القميص خصلة من شعر لحيته، قطعها أحد قاتليه من ذقنه، وخمسة أصابع من أصابعها المقطوعة.

وأوصت إليه أن يعلق كل أولئك في المسجد الجامع في دمشق، وأن يقرأ على المجتمعين ذلك الكتاب، وكان بعض ما جاء فيه:

إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإني أدعوكم إلى الله الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزم الله عليكم، فإنه قال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقد اجتمع لسماعه خمسون ألف شيخ يكون تحت قميص عثمان وأصابعها.

وعاشت نائلة حافظة لذكرى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وظلت وفية له، فلم تتزوج وكانت من أجمل النساء.

وكلما جاءها خاطب رَدَّتْهُ، ولما تقدم معاوية - رضي الله عنه - لخطبتها أَبَتْ، وسألت النساء عما يعجب الخطاب فيها، فقلن: ثنايك (وكانت مليحة وأملح ما فيها ثغرها) فخلعت ثناياها، وأرسلت بهن إلى معاوية، وحين سُئِلَتْ عما صنعت، قالت: حتى لا يطمع في الرجال بعد عثمان - رضي الله عنه -.

تلك هي "نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص" رمز الشجاعة والصبر والصمود، ذات الأدب والبلاغة والفصاحة، تزوجها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فكانت له زوجة مخلصه وفية ومطبعة، وكان عثمان يستشيرها دائماً لسداد رأيها، وقد حظيت في بيته بمكانة كبيرة.

وقد زوجها له أخوها ضب، وحملها إلى عثمان في المدينة، وكان مسلماً وكان أبوها نصرانياً، وقد تزوجها عثمان وهي نصرانية، وقبيلتها - قبيلة كلب - كلها يومئذ نصارى.

وقد أسلمت نائلة على يديه، وأنجبت له من الولد ثلاثاً: أم خالد، وأروي، وأم أبان الصغرى.

وقد روت السيدة نائلة عن عائشة - رضي الله عنها - بعضاً من أحاديث رسول الله ﷺ، ثم توفيت بعد جهاد عظيم لخدمة الإسلام.

صاحبة الكفن حفصة بنت سيرين



كان ذِكْرُ الموت لا يفارقها، فهي تعلم أن الدنيا أيام معدودة، فإذا ذهب يوم فقد ذهب بعضها؛ لذا كانت تتوقع الموت في كل لحظة، حتى روى أنها كانت تحتفظ بكفن دائم لها هو جزء من ملابسها فإذا حجت وأحرمت لبسته، وإذا جاءت الأيام العشرة الأخيرة من رمضان لبسته تقيم فيه.

إنها حَفْصَةُ بنت سيرين، المحدثّة الزاهدة، التي أمضت شبابها في عبادة وتقوى، وكانت تقول: يا معشر الشباب! خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني رأيت العمل في الشباب.

قَرَأَتُ القرآن الكريم، وتدبرْتُ معانيه وعمرها اثنتا عشرة سنة، وكان أخوها "محمد بن سيرين" إذا استشكل عليه شيء من القرآن الكريم قال: اذهبوا إلى حفصة، واسألوها كيف تقرأ؟

واشتهرت حفصة بالزهد، والصبر الجميل على طاعة الله وعبادته، وكانت كثيرة الصيام، طويلاً القيام، تدخل مسجدها تصلّي فيه، وتتعبّد بقراءة القرآن، ولا تخرج من بيتها إلا لحاجة أو لمقابلة من يأتون ليستفتونها، ويتعلمون منها. وكانت محدّثة جليّة، نشأت في بيت علم، وكان لها ستة إخوة غيرها، كلهم يقرءون القرآن، ويشغلون بالحديث.

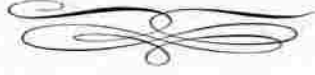
وكانت حفصة تحب العلم، وتبذل في سبيله كل غالٍ ونفيس؛ لأنها تعلم أن العلماء ورثة الأنبياء، كما عرفت حفصة بشدة تمسكها بتعاليم الإسلام الحقّة، وطاعتها لله ولرسوله؛ فقد روى أن سفيان بن عيينة بن عاصم قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به (أي: لبسته)، فنقول لها: رحمك الله، قال الله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠]. فتقول: هو إثبات الجلباب.

ولها باع كبير في رواية الحديث النبوي، فقد روت عن أخيها يحيى وعن غيره، وروى عنها الكثير.

وتوفيت "حفصة" -رضي الله عنها- في العام الثاني والتسعين من الهجرة، وقيل: الحادى بعد المائة، وقد بلغت من العمر سبعين عامًا.



الفارسة خولة بنت الأزور



سبق الفارس المثلث جيش المسلمين، وفي شجاعة نادرة اخترق صفوف الروم، وأعمل السيف فيهم، فأربك الجنود، وزعزع الصفوف، وتطايرت الرءوس، وسقطت الجثث على الأرض، وتناثرت الأشلاء هنا وهناك، وتعالَت الصَّرخات من الأعداء والتكبيرات من جيش المسلمين.

ليت شعري من هذا الفارس؟ وأيم الله، إنه لفارس شجاع... كلمات قالها خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين في معركة أجنادين عندما لمح الفارس وهو يطيح بسيفه هجمات الأعداء، بينما ظن بعض المسلمين أن هذا الفارس لا يكون إلا خالدًا القائد الشجاع. لكن خالدًا قد قرب منهم، فسألوه في تعجب، من هذا الفارس الهُمام؟ فلا يجبههم، فتزداد حيرة المسلمين وخوفهم على هذا الفارس ولكن! ما لبث أن اقترب من جيش المسلمين وعليه آثار الدماء بعد أن قتل كثيرًا من الأعداء، وجعل الرعب يدبُّ في صفوفهم، فصاح خالد والمسلمون: لله درُّك من فارس بذل نفسه في سبيل الله! اكشف لنا عن لثامك. لكن الفارس لم يستجب لطلبهم، وانزوى بعيدًا عن المسلمين، فذهب إليه خالد وخاطبه قائلاً: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي لفعلك، من أنت؟ فأجابه: إنني يا أمير لم أُعرض عنك إلا حياءً منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور. فلما علم خالد أنها امرأة سألها -وقد تعجَّب

من صنيعها-: وما قصتك؟ فقالت المرأة: علمتُ أن أخى ضرارًا قد وقع أسيرًا في أيدي الأعداء، فركبتُ وفعلتُ ما فعلتُ. قال خالد: سوف نقاتلهم جميعًا ونرجو الله أن نصل إلى أخيك فنفكه من الأسر.

واشتبك جيش المسلمين مع الأعداء وقتلوا منهم عددًا كبيرًا، وكان النصر للمسلمين، وسارت تلك الفارسة تبحث عن أخيها، وتسأل المسلمين عنه، فلم تجد ما يشفى صدرها ويريح قلبها، فجلست تبكي على أخيها وتقول: "يا بن أُمى ليت شعري... في أية بيداء طرَحوك، أم بأي سنان طعنوك، أم بالحُسام قتلوك. يا أخى لك الفداء، لو أنى أراك أنقذك من أيدي الأعداء، ليت شعري أترى أنى لا أراك بعدها أبدًا؟

لقد تركت يابن أُمى في قلب أختك جمرًا لا يخمد لهيها، ليت شعري، لقد لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي ﷺ، فعليك منى السلام إلى يوم اللقاء. فما إن سمعها الجيش حتى بكوا وبكى خالد بن الوليد.

وما هي إلا لحظات حتى أتى الخبر بالبشرى بأن أخاها مازال على قيد الحياة، وأن جيش الأعداء قد أرسله إلى ملك الروم مكبلاً بالأغلال، فأرسل "خالد" رافع بن عميرة في مائة من جيش المسلمين ليلحق بالأعداء ويفك أسر أخيها، فما إن سمعت بخروج "رافع بن عميرة" حتى أسرع إلى خالد تستأذنه للخروج مع المسلمين لفك أسر أخيها، فذهبت معهم حيث أعدوا كمينًا في الطريق، وما إن مرَّ الأعداء بالأسير حتى هجموا عليهم هجمة رجل، واحد وما لبثوا أن قضوا عليهم وفكوا أسر أخيها وأخذوا أسلحة العدو.

تلك هي الفارسة الفدائية خولة بنت الأزور، صحابية جليلة، أبّلت بلاء حسنًا في فتوح الشام ومصر. وكانت من أشجع نساء عصرها.

وقرّ الأيّام، وتظهر بسالة تلك المرأة، ومدى دفاعها عن الإسلام، ففي موقعة "صجورا" وقعت هي ونسوة معها في أسر جيش الروم. ولكنها أثبت أن تكون عبدة في جيش الروم، فأخذت تحت أخواتها على الفرار من الأسر، فقامت فيهن قائلة: يا بنات حمير وبقية تبع، أترضين لأنفسكن أن يكون أولادكن عبيدًا لأهل الروم، فأين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب؟ وإنى أرى القتل عليكم أهون مما نزل بكن من خدمة الروم. فألهبت بكلامها حماس النسوة، فأبين إلا القتال والخروج من هذا الدّل والهوان.

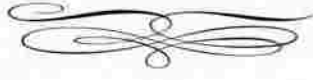
وقالت لهن: خذوا أعمدة الخيام، واجعلوها أسلحة لكن، وكنّ في حلقة متشابكات الأيدي مترابطات، لعل الله ينصرنا عليهم، فنستريح من معرة العرب. فهجمت وهجم معها النسوة على الأعداء وقاتلن قتال الأبطال حتى استطعن الخروج من معسكر الأعداء وتخلصن من الأسر.

ولم تنته معارك خولة في بلاد الشام، فقد أسّر أخوها ضرار مرة أخرى في معركة مرج راهط، فاقتحمت الصفوف من أجله.

وخاضت مع المسلمين معركة أنطاكية حتى تمّ النصر فيها للمسلمين، كما اشتركت -أيضًا- في فتح مصر، وغدت مفخرة نساء العرب ورجالهم.

وظلّت السيدة خولة -رضي الله عنها- على إيمانها وجهها للفداء والتضحية، ودفاعها عن دين الله، ورفع لواء الإسلام حتى تُوفيت في آخر خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

المحسنة أم عمارة بنت سفيان



كان بعضُ بائعي اللبن يخلط اللبن بالماء، واشتكى المسلمون من ذلك، فأرسل الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أحد رجاله ينادي في بائعي اللبن بعدم الغش، فدخل المنادي إلى السوق ونادي: يا بائعي اللبن لا تشوبوا اللبن بالماء، فتغشّوا المسلمين، وإن من يفعل ذلك؛ فسوف يعاقبه أمير المؤمنين عقاباً شديداً.

و ذات ليلة خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مع خادمه أسلم ليتفقد أحوال المسلمين في جوف الليل، وفي أحد الطرق استراح من التجوال بجانب جدار، فإذا به يسمع امرأة تقول: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه (اخلطيه) بالماء. فقالت الابنة: يا أُمّتاه، وما علمت ما كان من عزمَةِ أمير المؤمنين اليوم؟! قالت الأم: وما كان من عزمته؟ قالت: إنه أمر منادياً فنادي: لا يُشَابُّ اللبن بالماء.

فقالت الأم: يا بنتاه، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر، ولا منادي عمر. فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، إن كان عمر لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا.

فلما سمع عمر بن الخطاب ذلك، أعجب بالفتاة لورعها ومراقبتها لله رب العالمين. وقال: يا أسلم، علّم الباب، واعرف الموضع. ثم مضى. فلما أصبح

قال: يا أسلم، امضِ إلى الموضع فانظر من القائلة؟ ومن المقول لها؟ وهل لهما من بعل (زوج).

فذهب أسلم إلى المكان، فوجد امرأة عجوزاً، وابنتها أم عمارة، وعلم أن ليس لهما رجل، ثم عاد فأخبر عمر. فدعا عمر أولاده، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية.

فقال عبد الله بن عمر: لى زوجة. وقال أخوه عبد الرحمن: لى زوجة. وقال ثالثهما عاصم: يا أبتاه لا زوجة لى فزوّجني. فبعث إلى الجارية فزوّجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، ولدت هذه البنت ابنة صارت أمّاً لعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس - رضي الله عنه -.

إنها أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي، التي خلّدت اسمها في التاريخ، بأمانتها وخوفها من الله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، والذي أكرمها في الدنيا بزواجها من ابن أمير المؤمنين عمر، وجعل من نسلها أميراً للمؤمنين هو عمر بن عبد العزيز.



العابدة رابعة العدوية



قامت في جوف الليل تدعو الله ضارعة وتقول: إلهي، أنارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وهذا مقامى بين يديك، إلهي.. ما أصغيت إلى صوت حيوان، ولا حفيف شجر، ولا خرير ماء، ولا ترثم طائر، ولا تنعم ظل، ولا دوى ريح، ولا قعقة رعد... إلا وجدت شاهدة بوحدانيتك، دالة على أنه ليس كمثلك شيء. سيدي بك تقرب المتقربون في الخلوات، ولعظمتك سبّحت الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطحات. أنت الذي سبح لك سواد الليل، وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، والنجم الزهار، وكل شيء عندك بمقدار؛ لأنك الله العلى القهار.

وذات مرة قالت لأبيها: يا أبت، لستُ أجعلك في حلٍّ من حرام تطعمنيه. فقال لها: أرايت إن لم أجد إلا حراماً؟ قالت: نصبر في الدنيا على الجوع، خير من أن نصبر في الآخرة على النار.

إنها رابعة بنت إسماعيل العدوية، وُلدت بالبصرة لرجل فقير صالح، ومات أبواها، وتركها صغيرة تواجه مع أخواتها الثلاث صعوبات الحياة. ولما حلّ الجفاف هاجرت أخوات رابعة بينما أبت الهجرة معهن فتركنها وحيدة، حتى وجدها اللصوص، فأخذوها وباعوها لتاجر ثرى ذاقت تحت يده ذل الرق

والعبودية. فلما علم التاجر أنها تصلى طوال الليل، ذهب ليتأكد من ذلك فسمعها تدعو: إلهي أنت تعلم أن قلبي يتمنى طاعتك، ونور عيني في خدمتك، ولو كان الأمر بيدي لما انقطعت لحظة عن مناجاتك. ولكنك تركتني تحت رحمة هذا المخلوق القاسي من عبادك. فرق لها فأعتقها وأطلق سراحها.

انصرفت رابعة بعد ذلك للزهد والعبادة وقراءة القرآن، وظل ذلك دأبها طوال عمرها.

وجاء أحد التجار يطلبها للزواج، فقال لها: إنني أربح في اليوم ثمانين ألف درهم وأنا أخطبك لنفسى. فقالت له: إن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن. صُم دهرك، واجعل الموت فطرك، فما يَسُرُّنى أن الله خولنى أضعاف ما خولك، فيشغلنى به عنه طرفة عين، والسلام.

وعندما أتى رجل إليها ليعطيها أربعين دينارًا وقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك. بكت، ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: هو يعلم أنى أستحى منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟ يا هذا وما ترى من سوء حالي؟! ألسْتُ على الإسلام؟! فهو العز الذي لا ذُل بعده، والغنى الذي لا فقر معه، والأنس الذي لا وحشة معه. فقام الرجل وهو يقول: ما سمعتُ مثل هذا الكلام. فقالت له: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلُّ، وأنت تعلم فاعمل.

كانت رابعة العدوية تصلى الليل، فإذا طلع الفجر هجعت في مُصَلّاها
هَجْجَةً خفيفة حتى يسفر الفجر، فتثب من مرقدها وهي فزعة وتقول: يا نفس
كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها، إلا
لصرخة يوم النشور. ثم تبكى وهي ساجدة فإذا رفعت رأسها يرى موضع
سجودها مبلل من دموعها.

قال لها رجل ذات يوم: يا رابعة ادع لي! فقالت: من أنا، يرحمك الله؟! أطلع
ربك وادعه؛ فإنه يجيب المضطرين.

وقالت لها امرأة: يا رابعة، إنى أحبك في الله. فقالت لها: فلا تعصى وأطيعي
من أحببتنى فيه، فسألتها: أترين من تعبدينه؟ فقالت: لو كنت لا أراه ما
عبدته.

عاشت رابعة حتى صارت عجوزًا كبيرة لها ثمانون سنة، وكانت من زهداها
في الحياة أن بدت ضعيفة تكاد تسقط على الأرض وهي تمشي. وكانت تضع
أكفانها أمامها، فإذا ذكر الموت انتفضت وأصابتها رعدة.

وحين قرب موتها قالت لخادمتها عبدة: يا عبدة لا تؤذني بموتى أحدًا (أى
لا تُخبريه)، وكَفَّيْنِي في جُبَّتِي هذه وفي خماري الصوف؛ ليكمل لى بهما ثوابي
يوم القيامة.

وتوفيت في سنة مائة وخمس وثلاثين من الهجرة وعمرها ثمانون عامًا.
وقبرها يقع بظاهر القدس.

ومن أقوالها المأثورة:

أستغفر الله العظيم من قلة صدقي في قولي. أستغفر الله.

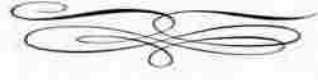


* كلوا خبز الدنيا واعملوا للآخرة.

* مُحِبُّ اللَّهِ لَا يَسْكُنُ أُنَيْنُهُ وَحَنِينُهُ حَتَّى يَسْكُنَ فِي جَنَّةٍ مَحْبُوبَةٍ.

* وكانت توصي الناس بقولها: اكْتُمُوا حَسَنَاتِكُمْ كَمَا تَكْتُمُونَ سَيِّئَاتِكُمْ.

نفيسة العلم نفيسة بنت الحسن



كانت من العابدات الزاهدات القانتات لله، كما كانت مصباحاً أضاء الطريق للسالكين الحيارى، وقدوة احتذاها أهل التقوى والإيمان.

في مكة المكرمة، ولدت نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، وكان ذلك اليوم السعيد بعد مائة وخمسة وأربعين عاماً من هجرة الرسول ﷺ عام ١٤٥ هـ.

وفي البلد الحرام عاشت نفيسة مع أحفاد رسول الله ﷺ، فتأثرت بهم، وسارت على منهجهم؛ فحفظت القرآن الكريم، وأقبلت على فهم آياته وكلماته، كما حفظت كثيراً من أحاديث جدها ﷺ.

نظرت نفيسة إلى الدنيا، فوجدتها فانية زائلة، فأعرضت عنها، وزهدت فيها، وأقبلت بوجهها إلى الله، تستغفره، وتتوسل إليه، وتطلب منه العفو والغفران، ولما بلغت نفيسة مبلغ الشبابات؛ تقدم لخطبتها ابن عمها إسحق المؤمن بن الإمام جعفر الصادق، فرضيته زوجاً لها.

وفي المدينة المنورة، عاشت نفيسة آمنة مطمئنة، وفتحت بيتها لطلاب العلم، تروى لهم أحاديث رسول الله ﷺ، وتفتيهم في أمور دينهم ودنياهم، حتى أطلقوا عليها اسم: "نفيسة العلم والمعرفة".

وفي عام مائة وثلاثة وتسعين من الهجرة (١٩٣هـ)، وصلت السيدة نفيسة إلى مصر بصحبة والدها وزوجها، واستقرت في القسطنطينية بدار ابن الجصاص وهو من أعيان مصر، وقد أُستقبلت استقبالا حافلا، وسر أهل البلاد بقدم حفيدة رسول الله ﷺ.

واستمرت نفيسة في حياة الزهد والعبادة، تقوم الليل، وتصوم النهار، حتى طلب منها زوجها ذات يوم أن ترفق بنفسها، فقالت: "من استقام مع الله، كان الكون بيده وفي طاعته". وكانت تعرف أنها لكي تفوز بجنة الخلد، فلا بد لها أن تجتهد في العبادة، وأن تبتعد عن ملذات الدنيا، تقول: "لا مناص من الشوك في طريق السعادة، فمن تخطاه وصل".

وداومت السيدة نفيسة على زيارة بيت الله الحرام، وقيل: إنها أدت شعائر الحج ثلاثين مرة، تذهب إلى هناك تتطهر من ذنوبها، وتجدد العهد مع الله على الطاعة، والاستجابة لأوامره، والابتعاد عن كل ما يغضبه، ثم تعود إلى مصر. وكانت عظيمة القدر والمكانة عند أهل مصر، فكانوا يذهبون إليها، يلتمسون عندها العلم والمعرفة، بل كان يقصد دارها كبار العلماء، فقد تردد عليها الإمام الشافعي، فكانت تستقبله من وراء حجاب، وتناقشه في الفقه وأصول العبادة وأحاديث الرسول ﷺ.

وحين مرض الإمام الشافعي أرسل إليها يطلب الدعاء له بالشفاء، لكنه مات بعد أيام بعد أن أوصى أن تصلي عليه السيدة نفيسة، فصلت عليه بعد أن صلي عليه الرجال، وحزنت من أجله. وكانت -رضي الله عنها- تجير المظلوم، ولا تستريح حتى ترفع الظلم عنه، فقد استجار بها رجل ثرى من

ظلم بعض أولى الأمر، فساعدته في رفع الظلم عنه، ودعت له، وعاد مكرماً معززاً؛ فأهداها مائة ألف درهم شكرًا لها واعترافًا بفضلها، فوزعتها على الفقراء والمساكين، وهي لا تملك ما يكفيها من طعام يومها.

وبعد سبع سنوات من الإقامة في مصر، مرضت السيدة نفيسة، فصبرت ورضيت، وكانت تقول: "الصبر يلزم المؤمن بقدر ما في قلبه من إيمان، وحسب الصابر أن الله معه، وعلى المؤمن أن يستبشر بالمشاق التي تعترضه، فإنها سبيل لرفع درجته عند الله، وقد جعل الأجر على قدر المشقة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم". وتقول أيضًا: "لقد ذكر الصبر في القرآن الكريم مائة وثلاث مرات، وذلك دليل على قيمة الصبر وعلو شأنه وحسن عاقبته".

ولما أحست السيدة نفيسة أن النهاية قد اقتربت، أرسلت إلى زوجها إسحاق المؤمن، تطلب منه الحضور وكان بعيدًا عنها.

وفي صحن دارها، حفرت قبرها بيدها، وكانت تنزل فيه وتصلي كثيرًا، حتى إنها قرأت فيه المصحف مائة وتسعين مرة وهي تبكي بكاء شديدًا.

وكانت السيدة نفيسة صائمة كعادتها، فألحوا عليها أن تفطر رفقا بها، وهي في لحظاتها الأخيرة، لكنها صممت على الصوم برغم أنها كانت على وشك لقاء الله، وقالت: واعجبًا، منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة، أفطر الآن؟! هذا لا يكون. ثم راحت تقرأ بخشوع من سورة الأنعام، حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].



ففارقت الحياة، وفاضت روحها إلى الله، فبكأها أهل مصر، وحزنوا لموتها حزناً شديداً، وحينما حضر زوجها أراد أن ينقل جثمانها إلى المدينة، لكن الناس منعوه، ودفنت في مصر. فرحة الله عليها.



صاحبة القرآن زبيدة زوجة الرشيد



أنصت.. استمع جيدًا.. تُرى ما هذا الصوت الغريب القادم من قصر أمير المؤمنين هارون الرشيد، إنه صوتٌ يشبه دَوَى النحل، تعالَ نقرب من القصر، ها قد اتضح الصوت: إنهن جواري زبيدة زوجة الخليفة يحفظن ويرتلن القرآن الكريم.

كانت زبيدة تتمنى بينها وبين نفسها أن تتزوج من ذلك الشاب اليافع، وها قد تحقق حلمها الذي كانت تحلم به، فقد عاد ابن عمها هارون الرشيد مع أبيه الخليفة "المهدى" من ميدان المعركة بعد أن حقق النصر على الروم، وستكون الفرحة فرحتين، فرحة النصر، وفرحة الزواج من هارون، نصبت الزينات وأقيمت الولائم التي لم يشهدها أحد من قبل في بلاد العرب وازينت زبيدة بالخلى والجواهر، والمسك والعنبر والروائح الطيبة تنتشر في مكان العرس، والناس مسرورون بهذا الزواج المبارك.

وتزوجت زبيدة من هارون الرشيد، فملاً الحب قلبيهما، واستطاعت بذكائها ولباقتها أن تزيد من حبه لها حتى أصبح لا يطيق فراقها ولا يملُ صحبتها، ولا يرفض لها طلبًا.

ومرت الأيام، وأنجبت زبيدة من هارون الرشيد ابنها "محمدًا" الأمين وقد أحبه كثيرًا، وكانت شديدة العطف عليه والرفق به لدرجة أنها بعثت ذات يوم

جارتها إلى الكسائي مؤدبه ومعلمه، وكان شديدًا عليه، تقول له : "ترفق بالأمين فهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني".

وتولى هارون الرشيد الخلافة، فازداد الخير في البلاد، واتسع ملكه، لدرجة جعلته يقول للغمامة حين تمر فوقه : "أذهبي فأمطري أننى شئت، فإن خراجك سوف يأتى إلى".

ورأت "زبيدة" زوجة خليفة المسلمين أن تساهم في الخير، وفي إعمار بلاد الإسلام، فحين حجت إلى بيت الله الحرام سنة ١٨٦ هـ، وأدركت ما يتحملة أهل مكة من المشاق والصعوبات في الحصول على ماء الشرب، دعت خازن أموالها، وأمرته أن يجمع المهندسين والعمال من أنحاء البلاد، وقالت له : اعمل ولو تكلفت ضرباً الفأس ديناراً. وحُفر البئر ليشرب منه أهل مكة والحجاج وعرف بعد ذلك ببئر زبيدة.

ولم تكتفِ زبيدة بذلك، بل بنت العديد من المساجد والمباني المفيدة للمسلمين، وأقامت الكثير من الآبار والمنازل على طريق بغداد، حتى يستريح المسافرون، وأرادت زبيدة أن تولى ابنها الأمين الخلافة بعد أبيه، لكن هارون الرشيد كان يرى أن المأمون وهو ابنه من زوجة أخرى أحق بالخلافة لذكائه وحلمه، رغم أنه أصغر من الأمين؛ فدخلت زبيدة على الرشيد تعاتبه وتؤاخذه، فقال لها الرشيد : ويحك، إنما هي أمة محمد ﷺ، ورعاية من استرعانى طوقاً بعنقى، وقد عرفت ما بين ابني، وابنك يا زبيدة، ابنك ليس أهلاً للخلافة؛ فقد زينه في عينيك ما يزين الولد في عين الأبوين، فاتقى الله؛ فوالله إن ابنك لأحب إليّ، إلا أنها الخلافة لا تصلح إلا لمن كان أهلاً لها،

ونحن مستولون عن هذا الخلق ؛ فيما أغنانا أنا نلقى الله بوِزْرِهِمْ، وننقلب إليه
بِإِثْمِهِمْ ؛ فدعيني حتى أنظر في أمرى. وعلى الرغم من ذلك فقد عهد بولاية
العهد لابنه "محمد الأمين"، ثم للمأمون من بعده.

وحين دخل المأمون بغداد بعد مقتل الأمين، وكان صراع قد شب بينهما
حول منصب الخلافة استقبلته، وقالت له: أهنيك بخلافة قد هتأت نفسي بها
عنك، قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة؛ لقد عوّضت ابناً خليفة لم
ألده، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأنا أسأل
الله أجراً على ما أخذ، وإمتاعاً بما عوض . فقال المأمون: ما تلد النساء مثل
هذه. وماذا أبقت في هذا الكلام لبلغاء الرجال.

وتُوفِّيَت السيدة زبيدة في بغداد سنة ٢١٦ هـ بعد حياة حافلة بالخير والبر،
فرحمة الله عليها..



الفهرس



obeykhalid.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة موسوعة الأسرة المسلمة	٣
الأم حواء	٥
أم الذبيح هاجر	٨
المهاجرة سارة	١١
المتوكله زوجة الفراسه والحياه	١٩
زوجه موسى الملكة المؤمنة آسيا بنت مزاحم	٢٣
الماشطة	٢٦
الزوجه الوفية زوجة أيوب	٢٨
الملكة بلقيس	٣١
الأم العذراء مريم	٣٦
سيدة نساء قريش خديجة بنت خويلد	٤٢
المهاجرة أرمله المهاجر سودة بنت زمعة	٤٦
أم المؤمنين .. الحبيبة عائشة بنت أبي بكر	٥٠

الصفحة

الموضوع

٥٩	صاحبة سر رسول الله حفصة بنت عمر
٦٢	صاحبة الرأي والمشورة أم سلمة
٦٧	السيدة زينب بنت جحش
٦٩	عاتقة المائة جويرية بنت الحارث
٧٢	سليمة الأنبياء صفية بنت حيي
٧٥	أم المؤمنين التقية أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان
٨٠	صاحبة الأمانة ميمونة بنت الحارث
٨٣	أم إبراهيم المصرية مارية القبطية
٨٦	صاحبة القلادة زينب بنت النبي
٨٩	صاحبة الهجرتين رقية بنت النبي
٩٢	ثانية النورين أم كلثوم بنت النبي
٩٤	الريحانة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ
٩٩	المرضعة حليلة السعدية
١٠١	عمة النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب
١٠٣	المؤازرة أروى بنت عبد المطلب
١٠٥	المجيرة أم هانئ

الصفحة

الموضوع

١٠٨	أم الإيمان فاطمة بنت أسد
١١٠	أم الحبيب أم أيمن
١١٣	أول شهيدة في الإسلام سمية بنت خياط
١١٥	امراة من الحور العين أم رومان زوجة أبي بكر
١١٧	ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر
١٢٢	أخت الفاروق فاطمة بنت الخطاب
١٢٥	المحاربة أم المحاريين نسيبة بنت كعب
١٢٩	صابرة.. ومهرها الإسلام أم سليم بنت ملحان
١٣٣	راكبة البحر أم حرام بنت ملحان
١٣٥	خطيبة النساء أسماء بنت يزيد
١٣٧	صاحبة الخيمة أم معبد
١٤٠	الصادقة.. المصدقة أم ذر
١٤٣	الفتاة المهاجرة أم كلثوم بنت عقبة
١٤٦	صاحبة الميراث أم كُجَّة
١٤٨	المضحية ليلي بنت أبي حثمة
١٥٠	الشهيدة الحية أم ورقة
١٥٢	صاحبة الحديقة عاتكة بنت زيد

الصفحة

الموضوع

- ١٥٤ الكريمة بنت الكريم سفانة بنت حاتم الطائي
- ١٥٦ الشاعرة أم الشهداء الخنساء
- ١٥٩ امرأة في الظل هند بنت عتبة
- ١٦٤ قاتلة السبعة أم حكيم
- ١٦٦ امرأة من أهل الجنة أم زمر
- ١٦٨ أخت النبي الشيماء
- ١٧٠ العفيفة مسيكة التائبية
- ١٧٢ الطيبية المداوية الشفاء بنت عبد الله
- ١٧٤ الطاهرة زينب بنت علي
- ١٧٩ الأديبة الكريمة سكينه بنت الحسين
- ١٨٢ امرأة لا تعرف الشر فاطمة بنت الحسين
- ١٨٥ الواعظة هجيمة بنت حيي
- ١٨٧ الصامدة نائلة بنت الفرافصة
- ١٩١ صاحبة الكفن حفصة بنت سيرين
- ١٩٣ الفارسة خولة بنت الأزور
- ١٩٦ المحسنة أم عمارة بنت سفيان



الصفحة

الموضوع

١٩٨	العابدة رابعة العدوية.....
٢٠٢	نفيسة العلم نفيسة بنت الحسن.....
٢٠٦	صاحبة القرآن زبيدة زوجة الرشيد.....
٢١١	الفهرس.....

